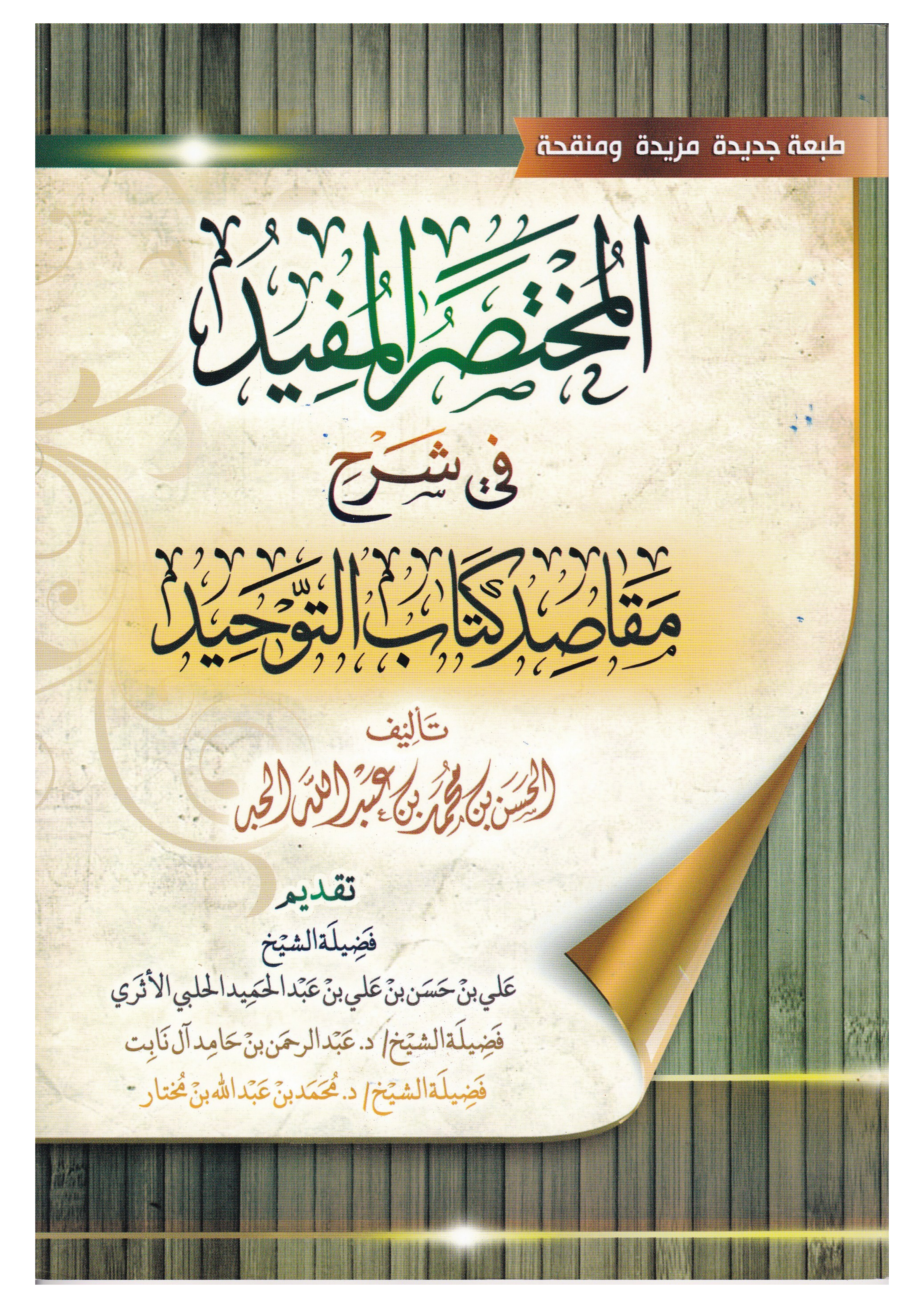

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
المختصر المفيد
في شرح
مقاصد كتاب التوحيد
تأليف
الحسن بن محمد بن عبد الله الحبد
تقديم
فضيلة الشيخ
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري
فضيلة الشيخ/ د. عبد الرحمن بن حامد آل نابت
فضيلة الشيخ/ د. محمد بن عبد الله بن مختار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## تقديم الشيخ الفاضل
## علي بن حسن الحلبيّ الأثريّ

الحمدُ لله ـ وَحدَ ـ والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بَعدَه .

أمّا بعدُ :

فقد طالعتُ كتابَ (المختصَر المفيد في شرح مقاصد كتاب التوحيد) الذي كَتبه أخونا الفاضلُ الوَدودُ ، طالبُ العلم النبويّ الشيخُ الحسنُ بن محمّد الجَدّ ـ وفّقه الله لَمراضيه ـ ؛ فرأيتُه كتاباً حسَناً مفيداً ، مباركاً ـ إن شاء الله ـ .

وأمّا كتابُ التوحيد ـ للشيخ الإمام محمّد بن عبد الوهّاب ـ تغمده الله برحمتِه ـ الذي شُرِحت (مقاصدُه) في هذا الكتاب ـ ؛ فهو كتابٌ علميٌّ فريدٌ ؛ مبنيٌّ ـ مِن ألِفِه إلى يائه ـ على نَهْجِ (قال الله ـ قال رسوله) .

وهو مؤلَّفٌ متميِّزٌ ـ جداً ـ ، معدودٌ فيما هو مِن أَجَلِّ ما أُلِّف في القرون المتأخّرة .. نُصرةً للعقيدة السلفية الصحيحة ، وانتصاراً للتوحيد الحَقّ .

ف .. جزى الله خيراً الشيخَ الحسنَ الجدّ ـ نفعه الله ، ونفع به ـ على ما قدّم في هذا العمل العلمي النافع ، وكتب له ـ به ـ الأجرَ والمثوبة ـ إنّ ربي سميع الدعاء ـ .

.. وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالَمين .

وكتب

علي بن حسن الحلبيّ الأثريّ

عمّان ـ الأردن

ظهرَ يوم الثلاثاء : ٢٧ ـ جُمادي الأولى ـ سنة ١٤٣٩ هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## تقديم الشيخ الفاضل
## عبد الرحمن بن حامد آل نابت حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه

**أما بعد**

فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «المختصر المفيد في شرح مقاصد كتاب التَّوحيد» لأخينا الشيخ/ **الحسن بن محمد بن عبد الله الجد** فألفيته مجموعًا نفيسًا نافعًا حرَّر فيه مؤلفه مقاصد كتاب التَّوحيد الذي هو من أجلِّ كتب العقيدة التي حصل بها النفع لعموم المسلمين واعتمد المؤلِّف في جمع هذه الفوائد والمقاصد على شروح كتاب التَّوحيد وغيرها من كتب أئمة الدعوة رحمهم الله كل ذلك بأسلوب سهل مختصر حتى يحصل به النفع لعموم المسلمين.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى كما نفع بجهود علمائنا في خدمة كتاب التَّوحيد وبيان أسراره ونكته ومقاصده إنه سميع قريب .

**قاله بفمه ورقمه بقلمه**

**عبد الرحمن بن حامد آل نابت**

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة «جبرة» العلمية

الخرطوم ـ السودان

والمدرس بالمسجد الكبير أم درمان

وذلك في ضحى يوم الاثنين ٥شوال ١٤٣٤هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## تقديم الشيخ الفاضل
## د. محمد بن عبد اللّه بن مختار حفظه اللّه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين

**وبعد**

فقد قرأت الكتاب الموسوم بـ «المختصر المفيد في شرح مقاصد كتاب التَّوحيد» لأخينا الشيخ الحسن بن محمد بن عبد الله الجد فألفيته كتابًا نافعًا بيَّن فيه مقاصد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من تأليفه لكتاب التَّوحيد وذلك بأسلوب سهل قريب وقد ذكر من خلاله شوارد الفوائد المبثوثة في شروحات علمائنا لهذا الكتاب العظيم كتاب التَّوحيد الذي هو أعظم حق لله على العبيد .

فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد المشكور كما نفع بجهود علمائنا في توضيح كتاب التَّوحيد إنه سميع قريب مجيب .

**كتبه**
**د.محمد بن عبد اللّه بن مختار**

المدرس بمعهد الإحسان للدراسات الشرعية بمدينة شندى

والأستاذ المتعاون بجامعة إفريقيا العالمية

٢٢ شعبان ١٤٣٤هـ

# تقديم الشيخ الفاضل
# علي بن حسن الحلبيّ الأثريّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله -وَحدَه-، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بَعدَه.

أمّا بعدُ:

فقد طالعتُ كتابَ «المختصَر المفيد في شرح مقاصد (كتاب التوحيد)» -الذي كَتبه أخونا الفاضلُ الوَدودُ، طالبُ العلم النبويّ الشيخُ الحسنُ بنُ محمّد الجَدّ -وفّقه الله لـمَراضيه-؛ فرأيتُه كتاباً حسَناً، مفيداً، مبارَكاً -إن شاء الله-.

وأمّا «كتابُ التوحيد» -للشيخ الإمام محمّد بن عبدالوهّاب -تغمّده الله برحمتِه- الذي شُرِحت (مقاصدُه) في هذا الكتاب-؛ فهو كتابٌ علميٌّ فريدٌ؛ مبنيٌّ -مِن أَلِفِه إلى يائه- على نَهْج (قال الله، قال رسوله).

وهو مؤلَّفٌ متميِّزٌ -جداً-، معدودٌ فيما هو مِن أَجَلِّ ما أُلِّف في القرون المتأخِّرة.. نُصرةً للعقيدة السلفية الصحيحة، وانتصاراً للتوحيد الحَقّ.

فـ.. جزى الله خيراً الشيخَ الحسنَ الجَدّ -نفعه الله، ونفع به- على ما قدّم في هذا العمل العلمي النافع، وكتب له -به- الأجرَ والمَثوبة -إنّ ربي سميع الدعاء-.

.. وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالَمين

وكتب

علي بن حسن الحلبيّ الأثريّ

عمّان - الأردن

ظهرَ يوم الثلاثاء: ٢٧ - جُمادى الأولى - سنة ١٤٣٩هـ

# تقديم الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن حامد آل نابت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه

أما بعد فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ (المختصر المفيد في شرح مقاصد كتاب التوحيد) لأخينا الشيخ الحسن بن محمد بن عبد الله الجد فألفيته مجموعاً نفيساً نافعاً حرّر فيه مؤلفه مقاصد كتاب التوحيد الذي هو من أجلّ كتب العقيدة التي حصل بها النفع لعموم المسلمين وأعتمد المؤلف في جمع هذه الفوائد والمقاصد على شروح كتاب التوحيد وغيرها من كتب أئمة الدعوة رحمهم الله كل ذلك بأسلوب سهل مختصر حتى يحصل به النفع لعموم المسلمين

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى كما نفع بجهود علمائنا في خدمة كتاب التوحيد وبيان أسراره ونكته ومقاصده إنه سميع قريب

قاله بفمه ورقمه بقلمه
عبد الرحمن بن حامد آل نابت
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة (جبرة) العلمية
الخرطوم / السودان
والمدرس بالمسجد الكبير أمدرمان

وذلك في ضحى يوم الاثنين ٥ شوال ١٤٣٤هـ

# تقديم الشيخ الفاضل د. محمد بن عبد الله بن مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على رسول الله الأمين.
وبعد فقد قرأت الكتاب الموسوم بـ
"المختصر المفيد في شرح مقاصد التوحيد"
لأخينا الشيخ/ الحسن بن محمد بن عبد الله الجد
فألفيته كتاباً نافعاً بيّن فيه مقاصد
الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله - من تأليفه لكتاب التوحيد)
وذلك بأسلوب سهل قريب) وقد
ذكر من خلاله شوارد الفوائد
المبثوثة في شروحات علمائنا لهذا الكتاب
العظيم كتاب التوحيد الذي هو أعظم مقاصدهم "حق الله
على العبيد".
فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد المشكور
كما نفع بجهود علمائنا في توضيح كتاب التوحيد
إنه سميع قريب مجيب،

كتبه/ د. محمد بن عبد الله بن مختار
المدرس بمعهد [illegible]
[illegible]
٢٩/شعبان/١٤٣٤هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مقدمة

**إنَّ الحمد لله نحمده ،** ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

**أمّا بعد :**

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إنَّ التَّوحيد ـ الذي هو إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات - غايةٌ خُلق لأجلها الجنُّ والإنس كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وأرسلت الرسل للدعوة إليها كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، وأنزلت الكتب لبيانها كما قال سبحانه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ [هود : ١-٢] وشُرع لأجلها الجهاد كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] وخُلقت لأجلها الجنَّة فلا يدخلها إلَّا أهل التَّوحيد قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

وخُلقت النار لمن فرط فيها وصرفها لغير الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له، كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسماوات، وخُلِقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسلَه، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصِبَت الموازين، ووضِعت الدواوين، وقام سوق الجنَّة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأُ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحقُّ الذي خُلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبت القبلة، وعليها أُسِّست الملة، ولأجلها جُرِّدت سيوفُ الجهاد، وهي حقُّ الله على جميع العباد، فهي كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

**فجواب الأولى بتحقيق «لا إله إلَّا الله»** معرفةً، وإقرارًا، وعملًا.

**وجواب الثانية بتحقيق «أن محمدًا رسول الله»** معرفةً، وانقيادًا، وطاعةً»(١).

وأفضل كتاب صُنِّف في عِلم التَّوحيد – الذي هو أشرف العلوم لتعلقه بالله تعالى وشرف العلم بشرف المعلوم – بعد القرون المفضلة – هو كتاب التَّوحيد للإمام المجدد، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – بشهادة أكابر أهل العلم(٢).

(١) مقدمة زاد المعاد.

(٢) قال العلَّامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: (هذا الكتاب لا نعلم أن قد أُلِّف مثله على صغر حجمه) في شرح كتاب التَّوحيد.

وقال العلَّامة عبد الله البسام ـ رحمه الله ـ: (هو من أنفس الكتب، ولم يُصنَّف على منواله) انظر علماء نجد (١ / ١٤٩).

وقال العلَّامة الفوزان حفظه الله: (وهذا الكتاب من أنفس الكتب المؤلفة في باب التَّوحيد) إعانة المستفيد.

قال العلَّامة صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ: (كتاب عظيم جدًا، أجمع علماء التَّوحيد، على أنه لم يُصنَّف في الإسلام في موضوعه مثله) التمهيد.

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ «ولم يورد الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب إلا ما صح من الأحاديث ، أو كان حسن الإسناد ، أو هو ضعيف الإسناد وله شواهد تقويه ، أو هو داخل تحت أصل عام يشهد له الكتاب والسنة ، مما ترجم له الشيخ في أبواب الكتاب» [(١)] .

وقد قام علماؤنا الأجلّاء ـ رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء – بشرحه أتمَّ قيام فأحببت أنْ اقتبس من شروحهم مختصرًا يقف فيه القارىء على مضمون الكتاب ومقاصده وأسميته «**المُختصر المفيد في شرح مقاصد كتاب التَّوحيد**» واقتصرت فيه غالبًا على بيان الشاهد الذي أورد المؤلِّف النص لأجله واكتفيت بشرح المتن دون المسائل رغبةً في الاختصار ، وإذا نقلت قولًا لأحد شُرَّاح كتاب التَّوحيد فإنِّي أكتفي بذكر الكتاب والمؤلِّف ؛ وأعني بذلك أنَّ المؤلِّف ذكر هذا القول في هذا الباب الذي بصدد شرحه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**وكتبه**

**الحسن بن محمد بن عبد الله الجد**

السودان ــــ شندي

---

(١) مقدمة إعانة المستفيد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# كتاب التَّوحيد

وَقَوْلِ الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ - ١٥٣] .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الْآيَةَ»[1] .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي : «**يَا مُعَاذُ ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله؟**» قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : «**حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ**

(١) رواه الترمذي : (٣٠٧٠) .

مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَفَلَا أُبَشِّرُ اَلنَّاسَ؟ قَالَ : «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أَخْرَجَاهُ فِي اَلصَّحِيحَيْنِ(١) .

**الشرح :**

ابتدأ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ـ عز وجل ـ فإنَّه مبدوءٌ بها ، وتأسيًا برسول الله ﷺ فإنَّه كان يبدأ رسائله بالبسملة .

**قوله : «كتاب التَّوحيد» :**

كتاب : مصدر : كتب يكتب كتابًا ، ومدار هذه المادة على الجمع ، ومنه : تكتَّب بنو فلان ، إذا اجتمعوا

وسُمِّيت الكتابة بالقلم كتابةً ؛ لاجتماع الكلمات والحروف . وسُمِّي الكتاب كتابًا ؛ لجمعه ما وُضع له .

**والتَّوحيد لغةً :** مصدر : وحَّد يُوحِّد توحيدًا ، أي : جعل الشيء واحدًا .

**واصطلاحًا :** هو إفراد الله بما يختص به . و ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

**الأول :** توحيد الربوبية ؛ وهو إفراد الله ـ عز وجل ـ بأفعاله مثل : الخلق ، والملك ، والتدبير ، والرَزق ، والإماتة ، والإحياء ، والنفع ، والضر ، وغيرها .

**الثاني :** توحيد الألوهيّة ؛ وهو إفراد الله – عز وجل ـ بالعبادة .

قال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية– «العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ، ويرضاه من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة» ا.هـ .

فمنها العبادات القلبية : كالمحبة ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء ، والرغبة ، والرهبة ، وغيرِها.

ومنها العبادات القوليّة : كالدعاء ، والاستغاثة ، والحلف ، وغيرِها .

ومنها العبادات العملية : كالركوع ، والسجود ، والذبح ، وغيرِها .

**الثالث :** توحيد الأسماء والصفات ؛ وهو إفراد الله ـ عز وجل ـ بما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، كعلم الغيب ، وغيرِها .

---

(١) البخاري رقم (٢٨٥٦) مسلم رقم : (٣٠).

والواجب فيها إثباتها من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل .

وجه الدَّلالة من الآية الأولى أنَّ الغاية من خلق الجن والإنس ؛ هي : عبادة الله وحدَه لا شريك له .

ووجه الدَّلالة من الآية الثانية أنَّ عبادة الله ؛ هي : الغاية من بعثة الرسل .

ووجه الدَّلالة من الآية الثالثة ؛ حصر العبادة لله ـ عز وجل ـ ويُستفاد الحصر من صيغة الاستثناء المسبوق بالنفي في قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾.

ووجه الدَّلالة من الآية الرابعة في أمره ـ عز وجل ـ بعبادته وحدَه ونَهْيه عن الشرك .

**والشرك لغةً** : النصيب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ [سبأ:٢٢] .

**وشرعًا** : هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

قال تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨].

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ، أي : يساوون ، وإمّا من العدول ، وهو : الميل والانحراف ؛ والمعنى : يميلون إلى غيره فتكون (الباء) بمعنى (عن) .

**وفي قوله : ﴿ وَلَا تُشْرِكُواْ ﴾** : عموم لأنواع الشرك الأكبر والأصغر ؛ لأنَّ الفعل المضارع منسبك من مصدر وزمن ، والمصدر نكرة ، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم ؛ فيكون النهي عن نوعي الشرك الأكبر والأصغر .

**وفي قوله : ﴿ شَيْـًٔا ﴾** عموم آخر في المُشرَك به ؛ لأنَّها نكرة في سياق النهي فتفيد العموم أيضًا ، فتعم كل ما يُعْبَد من دون الله .

والشاهد من آيات الوصايا العشر قوله تعالى ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ فهي أيضًا تعم أنواع الشرك ، وأنواع المُشرَك به .

**قول ابن مسعود** : «التي عليها خاتمه» أي : أنَّها لم تُنسخ .

ووجه الدَّلالة من حديث معاذ رضي الله عنه أنَّ التَّوحيد حق لله واجب على العباد . أمَّا حقّ العباد على الله فهو حق تفضل ، وإنعام ، وإحسان ؛ إذ لا أحد يُوجب على الله شيئًا ، وهو كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤].

«١»

# بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الْآيَةَ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أَخْرَجَاهُ[(١)] .

وَلَهُمَا[(٢)] فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ : «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : «قَالَ مُوسَى عليه السلام : يَا رَبِّ ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ : يَا رَبِّ ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ[(٣)] .

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(٤)] .

---

(١) أي البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨).

(٢) أي البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣).

(٣) في المستدرك (١ / ٥٢٨) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ج ١ / ص ٤٦٠.

(٤) في السنن (٣٥٤٠) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٧ ، ١٢٨).

﴿ الشرح : ﴾

**قوله : «باب»** الباب لغةً : فُرجةٌ في ساتر ، يُتوصل بها من خارجٍ إلى داخلٍ ، والعكس ، وهو حقيقةٌ في المحسوسات ، مجازٌ في المعاني .

**واصطلاحًا** : هو اسم لجملةٍ من العلم ، مشتملة على مسائل ، اشتملت على فصول أم لا ، ويُعرف المراد منه بإضافته إلى غيره .

**قوله :«فضل التَّوحيد وما يكفر من الذنوب»** هذا من عطف الخاص على العام ؛ لأنَّ تكفيره للذنوب مِنْ جملة فضائله. وما : إمَّا موصولة ، والعائد محذوف ، والتقدير : والذي يكفره مِنْ الذنوب ، وإمَّا مصدرية والتقدير : وتكفيره الذنوب .

**قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾** أي : وحَّدوا الله. كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه ؛ أنَّهم قالوا لقومهم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾[الممتحنة : ٤] أي : حتى توحدوا الله ، وتعبدوه وحده .

**قوله : ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾** أي : لم يخلطوا توحيدهم بشرك. كما قال- تعالى- عن لقمان الحكيم في وصيته لابنه : ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] .

**قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾** أي : من حقّق التَّوحيد ، واجتنب المعاصي ؛ فله الأمن المطلق ؛ أي : الأمن الكامل ، ومن حقّق أصل التَّوحيد ووقع في بعض المعاصي ؛ فله مطلق الأمن أي : الأمن الناقص ؛ إذا لم يشأ الله له المغفرة.

وجه الدَّلالة من الآية أنَّ مِنْ فضل التَّوحيد حصولَ الأمن ، والهداية في الدنيا والآخرة .

**قوله : «شهد»** أي : « نطق بلسانه ، معتقدًا بقلبه ، عاملًا بجوارحه » .

**قوله : «أن لا إله إلَّا الله»** أي : لا معبود حق إلَّا الله . لا : نافية للجنس ، إله : اسمها ، وخبرها يكثر حذفه ؛ إذا عُلِم . تقديره حق . أمَّا تقديره بموجود فإنه يلزم منه عقيدة الحلول الكفرية .

وقد شاع حذف خبر «لا» عند العرب إذا ظهر المراد ، كما قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في الألفية :

وشـــاع في ذا البـــاب إســـقاط الخـــبر إذا المـــراد مـــع ســـقوطه ظهـــر

**قوله : «وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»** أي : أنَّ عيسى عليه السلام خُلق بقوله تعالى : ﴿كُن﴾ كما قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] وهو من جملة الأرواح التي خلقها الله ، وخُصَّ عيسى عليه السلام على غيره بذلك لأنَّه خُلِقَ من غير أب بخلاف سائر البشر .

والمضاف إلى الله ـ عز وجل ـ إذا كان عيناً قائمةً بذاتها أو معنىً قائمًا في عينٍ قائمةٍ بذاتها فليس من صفات الله. مثل : بيت الله ، ناقة الله ، وقوله في عيسى عليه السلام ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء : ١٧١] وتكون الإضافة في هذه الحال للتشريف.

وإذا كان المضاف إلى الله معنىً لا يقوم بنفسه ، وليس معنىً قائمًا في غيره ؛ فهو من صفات الله. مثل : كلام الله(١) .

**قوله : «أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل»** أي : أدخله الله الجنة وإن كان عمله قليلًا.

ووجه الدَّلالة من الحديث أنَّ من فضل التَّوحيد مَنْ حقَّقه دخل الجنَّة .

**قوله : «فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلَّا الله ، يبتغي بذلك وجه الله»** :

وجه الدَّلالة مِنْ هذا الحديث أنَّ مِنْ فضل التَّوحيد تحريم صاحبه على النار ، وهو إمَّا تحريم الدخول لمَنْ جاء بالتَّوحيد مع اجتنابه للمعاصي أو تحريم الخلود لمَنْ جاء بالتَّوحيد مع ارتكابه للمعاصي ولم يُغْفَر له.

أمّا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فضعَّفه بعضهم(٢) . ولكن يشهد لصحة معناه ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «أنَّ نوحًا قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلَّا الله ، فإنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلَّا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلَّا الله ، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقةً مبهمةً قصمتهن

(١) انظر القول المفيد للعلَّامة ابن عثيمين .

(٢) سبق تخريجه ص ١٦ .

لا إله إلَّا الله»(١) .

وجه الدَّلالة من الحديث أنَّ ذنوب العبد لو بلغت ثقل السموات السبع ، والأرضين السبع ، مالت لا إله إلَّا الله بذلك الثقل ، من الذنوب ، وهذا فيه تكفير التَّوحيد للذنوب ، وهو من جملة فضائله . وحديث البطاقة يَدُّل على هذا المعنى(٢) .

ووجه الدَّلالة من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ التَّوحيد سبب لغفران الذنوب ، ولو كانت ما يقارب ملءَ الأرض ، أو ما يملأ الأرض من الذنوب وهذا من فضله وتكفيره الذنوب .

***

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢ / ١٦٩ ) انظر كلمة الإخلاص لابن رجب (١ / ٥٧ ) ، والسلسلة الصحيحة برقم (١٣٤ ).

(٢) وهو قوله ﷺ : «إنَّ الله سَيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائقِ يوم القيامة ، فينشر عليه تسعةً ، وتسعينَ سِجِلًا ، كل سجِلٍّ مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب! فيقول : أفلك عذر؟ فيقول : لا يا رب! فيقول : بلى ؛ إن لك عندنا حسنة ؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها : (أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ، ورسوله ، فيقول : احضر ، وزنك ، فيقول : ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلَّات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء» رواه ابن ماجه (٤٣٠٠ ) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (١٣٥ )

وهذا قطعًا ليس لكل موحِّد لثبوت العذاب في حق بعض عصاة الموحِّدين كقوله ﷺ : «يخرج من النار من قال : لا إله إلَّا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلَّا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلَّا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » رواه مسلم برقم (٤٧٧ ) فإياك ، والغرور !.

«٢»

# بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

وَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩] .

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ : أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ : ارْتَقَيْتُ قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ : حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ قَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ أَنَّهُ قَالَ : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**» ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» .

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ : «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١) .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٤) ، ومسلم (٢٢٠).

**الشرح :**

تحقيق التَّوحيد : هو تخليصه وتصفيته من شوائبِ الشركِ والبدعِ والمعاصي .

**وتحقيقه قسمان :**

**الأول :** تحقيقٌ واجبٌ : ويكون بترك ما ينافي كماله الواجب ؛ وهي المعاصي .

**الثاني :** تحقيقٌ مستحبٌ : ويكون بترك ما ينافي كماله المستحب ؛ مثل : طلبِ الرقية والاكتواء .

وجه الدَّلالة من الآية الأولى أنَّ إبراهيم عليه السلام مثالٌ لِمَنْ حقق التَّوحيد ، وقام به أتَّم قيام .

ووجه الدَّلالة من الآية الثانية أنَّ مِنْ أعظم صفات المؤمنين أنَّهم بربهم لا يشركون .

**قوله : «لا رقية إلَّا من عينٍ أو حمةٍ» .**

قال الخطَّابي : لا رقية أشفى من رقية العين والحُمَة .

والعين : هي إصابة العاين غيرَه بعينه ، والحُمَة : هي لدغة ذوات السموم .

**قوله : «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»** أي : من بنى فعله على نص سمعه فقد أحسن .

**قوله : «عُرِضت»** أي : في المنام .

**قوله : «الرهط»** هم الجماعة من ثلاثةٍ إلى تسعةٍ .

**قولهم : «فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ»** يستدل به بعضُ أهل البدع على أنَّ ليس كل مَنْ لقي النَّبيّ ﷺ وهو مؤمن صحابيًا ؛ لأنَّ الصحابة أنفسهم قالوا في هؤلاء :

«فلعلهم الذين صحبوا ... الخ» والرد على ذلك أنَّ الصحابة رضي الله عنهم أرادوا بذلك المعنى العرفي للصحبة فإن للصحبة ثلاثة إطلاقات :

**الأول :** لغوي : وهو مطلق الصحبة ، ولو مع عدم الموافقة في الدين كما قال تعالى ردًا على المشركين : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢] وقال : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير : ٢٢].

**الثاني :** شرعي : وهو من لقي النَّبيّ ﷺ مؤمنًا به ، ومات على ذلك ، ولو تخللته ردةٌ على الصحيح .

**الثالث** : عرفي : والمراد به طول الصحبة ، وعليه يُحمل قولُ النَّبيّ ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه لَـمَّا اختصم مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه «**لا تسبوا أصحابي**» يريد بذلك عبد الرحمن ابن عوف . وهذا إطلاقٌ عرفي المراد منه من طالت صحبته[(١)] .

**قوله : «لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون»** أي : لا يطلبون الرقية مع جوازها ، ولا يفعلون الكي مع جوازه ، ولا يتطيرون أي : لا يتشاءمون بالطيور ، ولا بغيرها . والطيرة : اسم مصدر وأصله التشاؤم بالطير ولكنه أعم من ذلك فهو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم . وهي شرك كما سيأتي .

وجه الدَّلالة من الحديث أنَّ من حقَّق التَّوحيد المستحب دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب .

***

(١) انظر منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٨ / ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

«٣»

## بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

وَفِي اَلْحَدِيثِ : «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : «اَلرِّيَاءُ»(١) .

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ اَلنَّارَ» رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ(٢) .

وَلِمُسْلِمٍ(٣) عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ اَلنَّارَ».

### الشرح :

يجب الخوف من الشرك لما يترتب عليه من العواقب السيئة ، من الخلود في النار ، وحرمان الجنَّة ، وبطلان العمل الصالح ، وعدم المغفرة لمن مات عليه .

**وجه الدَّلالة من الآية الأولى :** كونُ الشركِ ذنبًا لا يُغفر لمن مات عليه ؛ فيجب الخوف منه.

**ووجه الدَّلالة من الآية الثانية :** أنَّ إبراهيم عليه السلام مع تحطيمه للأصنام يخاف من عبادتها ، ويدعو ربه أن يجنبه إياها ؛ فنحن من باب أولى .

قال إبراهيم التيمي – رحمه الله – : «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!» .

(١) رواه أحمد (٥ / ٤٢٨ / ٢٣٦٣٠ ) ، وهو حديث صحيح انظر الصحيحة (٩٥١ ).

(٢) برقم (٤٢٩٧ ).

(٣) برقم (٩٣ ).

**ووجه الدَّلالة مِنْ الحديث أنَّ** النَّبيّ ﷺ خاف على الصحابة ـ وهم خير الناس ـ مِنْ الشرك الأصغر[1] ؛ فنحن مِنْ باب أولى أنْ نخاف مِنْ الشرك الأصغر ، والأكبر ؛ لأنَّه أعظم منه .

ووجه الدَّلالة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ الشرك سبب دخول النار والخلود فيها ، فإذا كان كذلك ؛ فيجب أنْ يُخاف منه.

**ووجه الدَّلالة من حديث جابر** رضي الله عنه أنَّ الشرك مانعٌ من دخول الجنَّة ، وموجب لدخول النار والخلود فيها ؛ فيجب الخوف منه .

***

(١) **الشرك الأصغر** : هو كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر ، ويشمل كل ما أطلق عليه لفظ الشرك ، ولم يصل إلى الشرك الأكبر . =

= ويقع **بالقلب مثل** : الرياء وإرادة الدنيا بالعمل والتطير .

**وباللسان مثل** : الحلف ، وبعض الألفاظ نحو : قول : ما شاء الله وشئت .

**وبالجوارح مثل** : تعليق التمائم .

**والشرك الأصغر يخالف الأكبر في بعض الأحكام :**

**الأول**: أنه لا يخرج من الملة .

**الثاني**: لا يخلد في النار.

**الثالث**: أنه تحت المشيئة على الصحيح .

**الرابع**: لا يحبط كل الأعمال .

«٤»

# بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اَلْيَمَنِ؛ قَالَ لَـهُ : «**إِنَّـكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْـهِ شَـهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا الله**». وَفِي رِوَايَةٍ : «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ ، فَإِنْ هُـمْ أَطَـاعُوكَ لِـذَلِكَ؛ فَـأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْـتَرَضَ عَلَـيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَـيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَـإِنْ هُـمْ أَطَاعُوكَ لِـذَلِكَ فَإِيَّـاكَ وَكَـرَائِمَ أَمْوَالِـهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ اَلْـمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**» أَخْرَجَاهُ[١] .

وَلَـهُمَا[٢] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : «**لَأُعْطِيَنَّ اَلرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَـهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ، فَبَاتَ اَلنَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا**» ، فَلَـمَّا أَصْبَحُوا ، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ : «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَـهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ اَلرَّايَةَ ، وقَالَ : «**اُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَى فِيهِ ، فَوَالله ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ اَلنَّعَمِ**» «**يَدُوكُونَ**» أَيْ يَخُوضُونَ .

## الشرح :

جاء المؤلِّف بهذا الباب بعد هذه الأبواب السابقة ؛ ليُبين أنَّ مَنْ عرف فضل التَّوحيد ، وحقَّقه،

---

(١) أي البخاري (٤٣٤٧ ) ، ومسلم (١٢١ ).

(٢) أي البخاري (٣٧٠١ ) ، ومسلم (٢٤٠٦ ).

وعرف خطر الشرك ، واجتنبه ؛ فلا بد أن يدعو غيره إلى هذا الخير ، ويُحذره من ذاك الشر .

**وجه الدَّلالة من الآية في قوله :** ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي : إلى توحيد الله وهذا معنى : «لا إله إلَّا الله» .

**ووجه الدَّلالة مِنْ حديث معاذ رضي الله عنه أنَّ** التَّوحيد أول ما يُدعى إليه .

**قوله :** «**وكرائم أموالهم**» كرائم : جمع كريمةٍ ، وهي : من الأنعام الجامعة للكمال الممكن في حقها ، من غزارة اللبن ، وجمال الصورة ، وكثرة اللحم ، والصوف . ذكره الإمام النووي[(١)] .

قال العلَّامة ابن عثيمين : «وفيه أنه يَحْرُم على العامل في الزكاة أخذُ كرائم المال ، ويَحْرُم على صاحب المال إخراج شرار المال. بل يُخْرِج الوسط ، فإن طابت نفسه بالكريمة جاز»[(٢)] .

**الشاهد من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه** قوله : «ثم ادعهم إلى الإسلام» الذي ركنه الأول توحيد الله ؛ إذ هو معنى الشهادة لله بإفراده بالألوهية وفيه أنَّ الدعوة إلى الإسلام مقدَّمة على القتال ، وفيه بيان ثواب من اهتدى على يديه أحد ، وأنَّ ذلك خيرٌ له من حُمْرِ النَّعم .

قال النووي – رحمه الله – : «هي : الإبل الحُمْر كانت أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنَّه ليس هناك أعظم منه . ثم قال : وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا ، إنَّما هو للتقريب من الأفهام ، وإلَّا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها ، وأمثالِها معها لو تصورت» [(٣)] .

***

(١) شرح مسلم ج ٢ / ص ١٤٦ ط دار المعرفة بيروت.
(٢) القول المفيد.
(٣) شرح مسلم ج ١٥ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ط دار المعرفة بيروت – لبنان.

« ٥ »

## بَابُ تَفْسِيرِ التَّوحيدِ وشَهَادَةِ أنْ لا إله إلا اللهُ

وقولِ الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وقولِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦- ٢٨] .

وقولِهِ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقولِهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وفي الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ ؛ أنهُ قال : «**من قَالَ لا إلـه إلَّا اللهُ ، وَكَفَر بـما يُعبدُ من دونِ الله ؛ حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ ، وحسابُهُ على الله ﷻ**»[(١)] .

**وشرحُ هذهِ الترجمةِ ما بَعْدَها من الأبوابِ :**

**الشرح :**

مناسبة هذا الباب للذي قبله أنَّ من يدعو إلى شيء لابد أنْ يُفسِّره ، ويُبيِّنه ، لمن يدعوهم .

وعطف الشهادة على التَّوحيد من عطف الدال على المدلول ، لأنَّ الشهادة تَدُلُّ على التَّوحيد .

ولَـمَّا كانت شهادة لا إله إلَّا الله تتضمن النفي والإثبات ، جاء بهذه النصوص المتضمنة للنفي والإثبات .

**فوجه الدلالة من الآية الأولى** في بيان أن المدعوين أنفسهم يطلبون التقرب لله بعبادته

(١) رواه مسلم (٢٣ ).

فكيف يدعونهم مع الله ؟ !

( وفي قوله :(يدعون) حُذِفَ العائد على اسم الموصول (الذين) والتقدير : الذين يدعونهم

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

كذلك حُذِفَ العائد من قوله :(يدعون) والتقدير : ولا تسبوا الذين يدعونهم ؛ إذ هو نهي عن سب الآلهة وليس نهياً عن سب الداعي . فتأمل هذا فإنَّه معين على فهم الآيتين .)

ووجه الدَّلالة مِنْ الآية الثانية : أنَّ النفي في قوله : ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، والإثبات في قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ وهذا معنى «لا إله إلَّا الله» .

الشاهد مِنْ الآية الثالثة : في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

الشاهد كذلك في قوله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

فإن مَنْ أطاع غير الله في تحليل الحرام وتحريم الحلال فقد عبده ويشهد لهذا قوله تعالى :

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

ووجه الدَّلالة مِنْ الآية الرابعة : أنَّ المشركين ساووا بين محبة الله ومحبة آلهتهم وهذا هو النفي والإثبات في أنَّ المؤمنين أخلصوا هذه المحبة لله .

ووجه الدَّلالة من الحديث واضحة وأكد النفي بقوله : «**وكفر بما يعبد من دون الله**» .

ثم قال : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب ؛ أي : أنَّ جميع الأبواب الآتية في بيان وتفسير التَّوحيد لأنَّ الكتاب مُصنَّفٌ فيه .

***

« ٦ »

## بَابٌ : مِنَ الشِّرْكِ : لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر : ٣٨] .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ ، فَقَالَ : «مَا هَذِهِ؟» قَالَ مِنَ الْوَاهِنَةِ فَقَالَ : «**انْزَعْهَا ؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ[(١)] بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ[(٢)] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا : «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ : «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[(٣)] .

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ[(٤)] عَنْ حُذَيْفَةَ : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى ، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

### الشرح :

هذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب وهي : إمّا شرعية أي : تعرف بالشرع مثل : الرقية والاستشفاء بالعسل ، وإما قدرية أي : تعرف بالتجربة ويشترط فيها الظهور والمباشرة بالاستعمال والجواز مثل : الأدوية الطبية فخرج بذلك ما يعلق وإن ثبت الاستشفاء باستعماله مثل : الحبة السوداء فإن الشرع جاء باستعمالها لا بتعليقها كما يفعله بعض الناس ؛ فإن هذا التعليق يدخل في تعليق التمائم فتأمل هذا !

(١) في المسند (٤ / ٤٤٥ ) برقم (٢٠٠٠ ) ، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٩ ).

(٢) أي أحمد في المسند (٤ / ١٥٤ / ١٧٤٠٤ ) ، وهو ضعيف راجع الضعيفة (١٢٦٦ ).

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٥٦ / ١٧٤٢٢ ) ، وهو صحيح ، انظر الصحيحة (٤٩٢ ).

(٤) في تفسيره برقم (١٢٠٤٠ ).

**ويجب في الأسباب ثلاثة أمور :**

**الأول :** ألا يَجعل منها سببًا إلَّا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا .

**الثاني :** ألا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها ـ وهو الله تعالى ـ مع قيامه بالمشروع منها .

**الثالث :** أنْ يعلم أنَّها لا تؤثر بنفسها بل مرتبطة بقضاء الله وقدره ، فإن شاء الله أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ، ليعرفوا تمام حكمته ، حيث ربط المسببات بأسبابها ، وإنْ شاء غيَّرها ليعلم العباد كمال قدرته ، وأنَّ له التصرف المطلق ؛ كما منع النار من إحراق إبراهيم عليه السلام[1] .

**قوله : «من الشرك»** «مِن» تبعيضية . والشرك : اسم جنس يشمل الأكبر والأصغر . ولبس هذه الأشياء قد يكون شركًا أكبر ، إن اعتقد أنها تنفع بذاتها ، وقد يكون شركًا أصغر إنْ اعتقد أنَّها أسباب .

الحلقة : تكون من الحديد ، أو الذهب ، أو الفضة ، أو النحاس ، أو ما أشبه ذلك . والخيط معروف .

**قوله : «لرفع البلاء أو دفعه»** الرفع يكون بعد الوقوع ، والدفع قبله .

وجه الدَّلالة من الآية الأولى : أنَّ الذي يدعو غير الله اعتقد أنَّه يكشف البلاء إما برفعه ، أو دفعه

**قوله : «حلقةٌ من صفر»** الصفر : النحاس الخالص. والاستفهام : إمَّا للإنكار أو الاستفصال .

**قوله : ««لا تزيدك إلَّا وهنًا»** أي في النفس لا في الجسم .

قال العلَّامة ابن عثيمين ـ رحمه الله – : «لأنَّ مَنْ لبسها وظنَّها أنَّها تنفع وهي لا تنفع فإنَّها تسبب له مرضًا نفسيًّا» [2].

---

(١) ذكره العلَّامة السعدي القول السديد .

(٢) القول المفيد.

الواهنة : مرض يأتي في العضد . وقيل في المنكب .

**التمائم :** جمع تميمة. وهي : خرزات كانت تعلقها العرب على الأولاد ؛ يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطله الإسلام .

**الودعة :** مفرد ودع. وهو شيء يخرج من البحر ، يشبه الصدف ؛ يتقون به العين ، في زعمهم فأبطله الإسلام .

**قوله : «لا ودع الله له»** بتخفيف الدال أي : لا جعله في دعةٍ وسكون . وبتشديدها أي :لا ترك الله له خيرًا ؛ فإن ودَّع بمعنى ترك ومنها قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى : ٣].

قال أبو السعادات : إنَّما جعلها شركًا لأنَّهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦].

من إيمانهم ، أنَّهم إذا قيل لهم : من خلق السماوات ؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا : «الله» وهم مشركون به(١) ، أي : يوحدون في الربوبية ، ويشركون في الألوهيّة.

***

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٥٢٥ ط دار الفتح الشارقة.

«٧»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا «**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**»(١) .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ(٢) .

«التَّمَائِمُ» : شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَقد رَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّص فِيهِ ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه .

و«الرُّقَى» : هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ : مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

و «التِّوَلَةُ» : هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيم مَرْفُوعًا : «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا ؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ(٣) .

وَرَوَى أَحْمَدُ(٤) عَنْ رُوَيْفِع قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَا رُوَيْفِعُ ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا ، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**».

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥).

(٢) في السنن (٣٨٨٣) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٣١).

(٣) في السنن (٢٠٧٢) ، وصحَّحه الألباني في غاية المرام.

(٤) في المسند (٤ / ١٠٨) برقم (١٧٠٠٠) ، وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٧٩١٠).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ قَالَ : «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ(١) .

وَلَـهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ؛ قَالَ : «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»(٢) .

## الشرح :

**قوله : «باب ما جاء في الرقى والتمائم»** لم يقل من الشرك لأنَّ منها ما ليس شركًا بل جائز كالرقية الشرعية. وهذا يدلُّ على دقَّة المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى – .

والرقى : جمع رقية. وهي القراءة لأجل التداوي والشفاء . وهي نوعان :

**الأول :** شرعية ولها ثلاثة شروط :

**أولها :** أنْ تكون بكلام الله ، وأسمائه وصفاته .

**ثانيها :** أنْ تكون بلسان عربي ، أو مِنْ غيره مما يفهم معناه .

**ثالثها :** ألا يعتقد أنَّها تنفع استقلالًا من دون الله (٣) .

ومما يَدُلُّ على جوازها بهذه الشروط قوله ﷺ **«اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»** رواه مسلم(٤) .

**الثاني :** غير شرعية ولها حالتان :

**الأولى :** تكون شركًا أكبر في حالتين :

**الأولى :** إذا ظنَّ نفعها استقلالًا من دون الله .

**الثانية :** إذا كانت متضمنة كلامًا شركيًا كالاستعانة بالشياطين .

**الحالة الثانية :** تكون شركًا أصغر إذا كانت متضمنة كلامًا لا يفهم معناه ، وظنَّها سببًا .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٤٦٣ ).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٤٥٧ ) ، وهو صحيح انظر حاشية الكلم الطيب ص (١٥ ).

(٣) انظر القول المفيد.

(٤) في صحيحه (٦٥٦٩ ).

**قوله : «في رقبة بعير»** لا اعتبار لمفهوم المخالفة هنا ؛ لأنَّ هذا خرج بيانًا لموافقة الواقع . فإنهم كانوا يعلقونها على رقبة البعير ، فلو علقت على غيره فلها نفس الحكم .

قال صاحبُ المراقي في عدم اعتبار مفهوم المخالفة :

**أو امتنـــــان أو وفـــــاق الواقـــــع والجهـــل والتأكيـــد عنـــد الســـامع**

الوتر : واحد أوتار القوس. كان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره ، وقلَّدوا به الدواب ؛ اعتقادًا منهم أنَّه يدفع عنها العين .

**قوله : عن ابن مسعود** ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**» .

المراد بالرقى غير الشرعية . والتولة : نوع من السحر. وهي شيء يعلقونه على الزوج . يزعمون أنَّه يُحبب الزوجة إلى زوجها ، والعكس . وهو شركٌ ؛ لأنه ليس سببًا شرعيًا ولا قدريًا للمحبة .

ومثل هذا لبس «الدبلة» وهي : خاتم يشترى عند الزواج ، يوضع في يد الزوج . إذا ألقاه الزوج قالت المرأة : إنَّه لا يحبها ؛ فهم يعتقدون أنَّه سببٌ للمحبة وهذا شركٌ أصغر . وإنْ لم توجد هذه النية ففيه تشبه بالنصارى . فإنَّها مأخوذةٌ منهم . وإنْ كان من الذهب ؛ فهو حرام على الرجال وهذا محذورٌ ثالث فهي إما شركٌ ، أو مضاهاة للنصارى ، أو تحريمٌ للنوع . فإنْ خلت من ذلك كلِّه فهي جائزة لأنَّها خاتم من الخواتيم(١) .

**قوله : «من تعلق شيئًا وُكِلَ إليه»** أي : ترك الله إعانته ، ووكله إلى ما علَّقه .

وواجب المسلم التعلق بالله وحده ؛ فإنَّ من تعلق بالله ، وأنزل حوائجه به ؛ قَرَّبَ له البعيد ، ويسر له العسير .

**قوله في حديث رويفع :«من عقد لحيته»** يفسَّر على وجهين :

**الأول** : ما يفعلونه في الحرب ؛ كانوا يعقدون لِحاهم ؛ وذلك من زيِّ بعض الأعاجم ، يفعلونَّها ؛ تكبرًا وعجبًا .

---

(١) انظر القول المفيد.

**الثاني** : أنَّ معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد. وذلك من فعل أهل التأنيث . وبعضهم يفعله ؛ خشيةَ العين[١] .

والنهي عن الاستنجاء بالرجيع والعظم في قوله ﷺ : «**لا تستنجوا بالروث ولا العظام ، فإنَّه زاد إخوانكم من الجن**» رواه مسلم[٢] .

**قوله : «فإنَّ محمدًا بريءٌ منه»** .

قال أهل العلم : كل ذنب قُرِنَ بالبراءة مِنْ فاعله فهو من الكبائر .

**قوله : «عن إبراهيم»** هو النخعي.

**قوله : كانوا يكرهون التمائم كلَّها مِنْ القرآن ، وغير القرآن .** المراد بهم أصحاب عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه . والكراهة عند المتقدمين للتحريم . كما حرر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين[٣] .

***

(١) انظر فتح المجيد.

(٢) في صحيحه برقم (٤٥٠ ).

(٣) انظر إعلام الموقعين ج ١ / ص ٤٠.

«٨»

## بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] .

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا اَلسُّنَنُ ، قُلْتُمْ - وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ-كَمَا قَالَتْ بَنُو سْرَائِيلَ لِمُوسَى** : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» . رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ(١) .

### الشرح :

التبرك : مأخوذة من البِرْكة ؛ وهي مجمع الماء . ويمتاز عن مجرى الماء بالكثرة والثبات .

والتبرك شرعًا ؛ هو : طلب الزيادة في الخير والأجر ؛ بسبب ذاتٍ ، أو زمانٍ ، أو مكانٍ ، أو عملٍ ثبتت بركته وكيفية نيلها بالشرع .

**قوله :«ونحوهما»** أي : من البقاع ، والقبور ، والأشخاص ، وغيرها.

**ويكون التبرك شركًا أكبر في حالتين :**

**الأولى :** إذا اعتقد أنَّها تنفع على وجه الاستقلال . وهذا شركٌ في الربوبية .

**الثانية :** إذا صرف العبد لها عبادة . وهذا شركٌ في الألوهيّة .

ومطابقة الآيات للترجمة : من جهة أنَّ عباد الأوثان كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ، وصرف العبادة لها .

**قوله : «ونحن حدثاء عهد بكفر»** أي : قريبٌ عهدنا بالكفر. وهذا فيه أنَّ غيرهم من

(١) في السنن (٢١٨٠ ) ، وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٣٦٠١ ).

متقدمي الإسلام لا يجهلون ذلك .

**قوله : «يعكفون عندها»** أي : يقيمون عندها . قوله : «ينوطون بها أسلحتهم» أي : يعلقونها عليها طلبًا للبركة .

**قوله : «الله أكبر»** وفي رواية : «سبحان الله» المراد بالتكبير تعظيم الله بنفي الشرك عنه . والمراد بالتسبيح تنزيهه عن الشرك .

وهذا فيه أنَّ الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنَّه يقربه إلى الله وهو يبعده منه ويقربه من سخطه.

❊❊❊

«٩»

# بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] .

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : «**لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ الله ، لَعَنَ اللهُ مِنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللهُ مِنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١) .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**» قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ : «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا لِلْآخَرِ : قَرِّبْ فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ الله عز وجل فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ؛ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**» . رَوَاهُ أَحْمَدُ(٢) .

## الشرح :

**قوله : «باب ما جاء في الذبح لغير الله»** أي : من الوعيد وأنَّه شرك . والذبح المراد به قصد إزهاق الروح ، وإراقة الدم لذاته .

قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

وهذا عين ما يقصده المشركون ؛ إذ أنَّ الصنم ، والوثن ، والقبر ، لا ينتفع بلحمها . وإنَّما

(١) برقم : (١٩٧٨).

(٢) في الزهد (ص ١٥).

أرادوا التقرب وهذه هي العبادة . أما الذبح الذي يكون للضيف أو الوليمة أو البيع فالمراد به اللحم ، ولا يتم التوصل إلى اللحم إلَّا بالذبح ؛ فالذبح غير مقصود لذاته وإنما المقصود اللحم . فتأمل هذا !

**وهنا قاعدة وهي :** أنَّ ما ثبت أنَّه عبادة فصرفه لغير الله شرك . والأمور التي يتعبد بها نوعان :

**الأول :** قسم لا يقع إلَّا عبادة كالنذر ، والحلف ، ونحوِهما . فصرفها لغير الله شرك .

**الثاني :** قسم يقع عبادة وغير عبادة كالمحبة ، والخوف ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وغيرها . فهذه صرفها لغير الله علي وجه التعبد شرك ، أمَّا إذا كان على غير وجه التعبد فليس بشرك .

ومناسبة الآيات للترجمة أنَّ النسك – وهو الذبح ـ عبادة فصرفها لغير الله شرك .

ويَدُل على ذلك لام الاستحقاق في قوله : ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ .

الشاهد من حديث علي رضي الله عنه «**لعن الله من ذبح لغير الله**» لكونه صرف عبادة لغير الله .

قال أبو السعادات : أصل اللعن : الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق بمعنى السب والدعاء عليه.

**وهو نوعان :**

**الأول :** أبدي : وهو ما كان على الشرك والكفر وهو المقصود فيمن ذبح لغير الله .

**الثاني :** مؤقت : وهو ما كان على كبيرة ، لا تُخرج من الملَّة ، وهو المقصود في الثلاثة الباقية .

وأما حديث طارق بن شهاب فهو موقوف على سلمان . ومناسبته للباب في كونه دخل النار بسبب تقريبه الذباب لغير الله .

**مسألة : لماذا لم يقرب الآخر على أنَّه مكره ؟!**

قال العلَّامة ابن باز : وهذا يحتمل أمرين:

**الأول :** إمَّا أنَّ شريعتهم ليس فيها عذر بالإكراه ولهذا لم يأخذ بالرخصة ويتخلص من شرهم .

**الثاني :** يحتمل أنَّه ترك الرخصة وأخذ بالعزيمة لقوة إيمانه ويقينه فقتلوه .

**وفي شريعتنا :** أنَّ من أكره على الشرك ففعل ما أكره عليه بقصد التخلص من شرهم ولم يطمئن قلبه بذلك فلا حرج عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل : ١٠٦] فيأخذ بالرخصة حتى لو قال الكفر بلسانه(١) .

***

(١) شرح كتاب التَّوحيد.

«١٠»

## بَابٌ : لا يُذْبَحُ لله بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيه لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ اَلضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ : «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ ، فَسَأَلَ اَلنَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ** ؟» قَالُوا : لَا ، قَالَ : «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ** ؟» قَالُوا : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا[١] .

### الشرح :

هذا الباب من الوسائل. والذي قبله من باب المقاصد . وفيه أنَّ المشابهة في الظاهر سبب للموافقة في الباطن. لأجل ذلك نهى الشارع عن مشابهة الكفار في أعيادهم ، وشعارهم ، وهيئاتهم ، ولباسهم ، وجميع ما يختص بهم ؛ إبعادًا للمسلمين عن الموافقة في الظاهر الموجبة للموافقة في الباطن[٢] .

وذكر المصنف الذبح من باب المثال وهو عام في جميع العبادات. لا يتعبد لله في مكان يتعبد فيه لغير الله وهذا من باب سد الذرائع .

ومناسبة الآية للترجمة أنَّ الله تعالى نهى نبيه ﷺ أن يتعبد في مسجد الضرار الذي أُسِّس لمحاربة الله ورسوله . وكذلك كل مكان أُسِّس على الباطل فإنَّه لا يتعبد فيه لله .

**ووجه الدَّلالة من الحديث** : أنَّه سأل هل فيها وثن من أوثان الجاهلية ، أو عيد من

(١) في السنن برقم : (٣٣١٣) ، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٤٣٧ ).

(٢) انظر القول السديد للعلَّامة السعدي.

أعيادهم . فلَـمَّا أخبر بالعدم أذن بالوفاء . فمفهوم المخالفة أنَّه لو كان فيها وثن أو عيد من أعيادهم لم يأذن .

**وفيه :** أنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به وكفارته كفارة يمين ؛ لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا «**لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين**»(١) .

***

(١) رواه الترمذي (٤ / ١٠٣ ) ، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٩٠ ) ، والمشكاة (٣٤٣٥).

«١١»

## بَابٌ : مِنْ الشِّرْكِ : النَّذْرُ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [الإنسان : ٧] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**»[(١)] .

﴿ **الشرح :** ﴾

هذا الباب يدخل في القاعدة السابقة ؛ وهي : ما ثبت أنَّه عبادة فصرفه لغير الله شرك . والنذر كالحلف لا يقع إلَّا عبادة .

**والنذر لغة :** الإلزام والعهد .

**واصطلاحًا :** إلزام المكلف نفسه شيئًا غير واجب عليه بأصل الشرع .

ومناسبة الآية للترجمة : أنَّ الله أثنى على الذين يوفون بالنذر. فدلَّ على أنَّ الوفاء بالنذر عبادة ؛ فصرفه لغير الله شرك .

ودلَّت الآية الثانية على أنَّ النذر نفسه عبادة يحبها الله . لكن المراد به النذر المطلق. أمّا النذر المقيد وهو : أنّ يقول لله عليَّ أنْ أفعل كذا إنْ حصل لي كذا فهذا مكروه. وقيل حرام كما في حديث ابن عمر وأبي هريرة : نهى النَّبيّ ﷺ عن النذر وقال : «**إنما يستخلص به من البخيل**» وفي بعض الألفاظ : «**لا يقدم ولا يؤخر**» متفق عليه[(٢)] . والمراد به النذر المقيد .

ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به كما مرَّ في الباب السابق وكفارته كفارة يمين .

ووجه الدَّلالة مِنْ الحديث أنَّ النَّبيّ ﷺ أمر مَنْ نذر أنْ يطيع الله بأن يطيعه فدَلَّ علي أنَّه عبادة .

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠٠ ).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٦٩٢ ) ، ومسلم برقم (٤٢١٥ ).

«١٢»

## بَابٌ : مِنَ الشِّرْكِ : الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦] .

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] .

**الشرح :**

هذا مما يدخل في القاعدة السابقة. إلَّا أنَّ الاستعاذة مما تقع عبادة ، وغيرَ عبادة كالمحبة والخوف .

**والاستعاذة :** هي طلب العوذ . والعوذ : هو الحماية من المكروه. فإذا كانت فيما يقدر عليه المخلوق فليست شركًا. وإن كانت فيما لا يقدر عليه المخلوق فهي شرك .

ومناسبة الآية للباب أنَّ الله ذم المشركين علي استعاذتهم بالجن . وكان من عادتهم إذا نزلوا واديًا يقولون : «نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه» يريدون به كبير الجن . فلَمَّا علمت الجن بخوف الإنس منهم زادوهم رهقًا ؛ أي : خوفًا .

**ووجه الدَّلالة من الحديث ؛** أنَّه ندب إلى الاستعاذة بصفة من صفات الله تعالى ؛ وهي: كلمات الله فدلَّ على أنَّها عبادة . وهذا من الأدلة على أنَّ القرآن ليس مخلوقًا ؛ لأنَّه كلام الله ولو كان كلامه مخلوقًا لم تشرع الاستعاذة به .

**قوله : «من شر ما خلق»** ما : موصولة تفيد العموم . ولكن المراد به العموم الوصفي ، لا العموم الإطلاقي . والمعني من شر كل ذي شر لا من شر كل ما خلق فإن الجنَّة والرسل والملائكة ليس فيهم شر[(٢)] .

---

(١) برقم (٢٧٠٨).

(٢) انظر فتح المجيد.

ومما يَدلُّ على أنَّ الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه المخلوق ليست شركًا قوله ﷺ في الفتن: «**فمن وجد من ذلك ملجأ فليعذ به**» رواه مسلم[١] .

وثبت في مسلم أيضًا «أن امرأة من بني مخزوم سرقت ، فأتي بها النَّبيّ ﷺ فعاذت بإم سلمة زوج النَّبيّ ﷺ فقال النَّبيّ ﷺ : «**والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها فقطعت**»[٢] .

***

(١) برقم (٢٨٨٦).

(٢) برقم (١٦٨٩).

«١٣»

## بَابٌ : مِنَ الشِّرْكِ : أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٦-١٠٧] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ : أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ**»(١) .

**الشرح :**

**الاستغاثة :** هي طلب الغوث ؛ وهو : الإنقاذ من الشدة والهلاك .

وهي نوع من الدعاء إلَّا أنَّها تأتي في حال الشدة . والاستغاثة والدعاء من الأمور التي تقع أحيانًا عبادة وأحيانًا غير عبادة كالمحبة والخوف . ودليل كون الدعاء يقع عبادة وغير عبادة قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] .

---

(١) في المعجم الكبير كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩ ).

وقوله : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٦١] .

ودليل كون الاستغاثة تقع أحيانًا غير عبادة قوله تعالى : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص : ١٥] .

والدعاء إذا أطلق في كتاب الله فإنَّه يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة ، ولا يخص بأحدهما إلَّا بقرينة أو دليل .

**ومناسبة الآية الأولى للباب :** نهيه تعالى عن دعاء غيره وبيان أنه من الظلم الذي هو الشرك كما قال تعالى :﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] .

**ومناسبة الآية الثانية :** أن من طلب الرزق من غير الله فقد أشرك .

**ومناسبة الآية الثالثة :** إخباره عن أضل الخلق بأنه من يدعو غير الله عز وجل .

**ومناسبة الآية الرابعة :** إثبات أن إجابة المضطر وكشف السوء من خصائص الله بإيرادها بصيغة الاستفهام الإنكاري المشرب بالتحدي .

❋❋❋

## «١٤»
## بَابُ

قول الله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣-١٤] .

وَفِي الصَّحِيحِ(١) عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : «شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، فَقَالَ : «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ؟** فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[آل عمران : ١٢٨] .

وَفِيهِ(٢) : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ : «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**» بَعْدَمَا يَقُولُ : «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[آل عمران : ١٢٨] .

وَفِي رِوَايَةٍ : يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[آل عمران : ١٢٨] .

وَفِيهِ(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، فَقَالَ : «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي**

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٩١) ، والبخاري معلقًا (٧/ ٣٦٥) في كتاب المغازي / باب ليس لك من الأمر شيء.

(٢) أي في البخاري (٤٠٦٩/ ٤٠٧٠).

(٣) رواه البخاري مرسلًا (٤٠٧٠ ) ، ووصله الترمذي (٣٠٠٤).

**عَنْكَ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا».**

**الشرح :**

وصف الله ﷻ في الآية الأولى الخلق بأربع صفات ، تَدُلُّ على عجزهم ، وضعفهم ، وأنَّهم لا ينبغي أن يشركوا مع الله . وهي :

**الأولى :** لا يَخْلقون شيئًا .

**الثانية :** أنَّهم مخلوقون .

**الثالثة :** لا يستطيعون النصر لغيرهم .

**الرابعة :** لا ينصرون أنفسهم .

وفي الآية الثانية بَيَّنَ الله حال المدعوين من دونه مما يَدُلُّ على عجزهم ، وضعفهم ، وأنَّهم قد انتفت عنهم أسباب الإجابة ؛ وهي : الملك والسماع والقدرة .

والقطمير ؛ هو : اللفافة التي تكون علي نواة التمر . وأخبر في آخر الآية أنَّ دعاء غيره شرك فقال : ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ﴾ .

**ووجه الدَّلالة مِنْ الحديث أنَّ** خير البشر إذا كان ليس له من الأمر شيء بل الأمر كله لله ، يهدي مَنْ يشاء ويضل من يشاء ؛ فغير النَّبيّ ﷺ من باب أولى .

**ووجه الدَّلالة من الحديث الثاني** كون النَّبيّ ﷺ لا يملك لأقاربه شيئًا ؛ فغيره لغيرهم من باب أولى .

***

«١٥»

# بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وَفِي اَلصَّحِيحِ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِذَا قَضَى اللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ ؛ ضَرَبَتِ اَلْـمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] ، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا اَلْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ اَلسَّاحِرِ أَوْ اَلْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبَ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ ، فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا : كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ**» .

وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ؛ أَخَذَتِ اَلسَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ** - أَوْ قَالَ : **رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ- خَوْفًا مِنْ اللهِ** عز وجل **فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ اَلسَّمَوَاتِ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ : جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحيِّهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى اَلْـمَلَائِكَةِ ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ جبريل : «قَالَ اَلْـحَقَّ ،**

---

(١) أي البخاري (٤٧٠١ ، ٤٨٠٠ ).

وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ»[(١)].

﴿ الشرح : ﴾

هذا الباب بيان لعظمة الله ؛ وأنَّ الملائكة تصعق عند سماع كلامه هيبةً وإجلالًا .

قوله : ﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : زال الفزع . والفزع : هو الخوف المفاجئ .

فإذا سمعت الملائكة قول الرب ﷻ تضرب بأجنحتها خضعانًا. خضعانًا بفتح الخاء وضمها : أي خاضعين وجلين مشفقين بين يدي الله تعالى كأنه ضرب سلسلة الحديد على الصفوان.

والصفوان : الحجر الأملس.

وكذلك يسمع للسماء صوتٌ كهذا هيبةً وإجلالًا لكلام ربها ؛ كما قال النَّبيّ ﷺ : «**إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلةً كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم قال : فيقولون : يا جبريل ! ماذا قال ربك ، فيقول : الحق ، فيقولون الحق الحق**» [(٢)] .

فأول من يفيق جبريل عليه السلام فتسأله الملائكة عن قول الله ﷻ فيخبرهم فيسمع مسترق السمع – وهو الشيطان – هذه الكلمة ثم يأتي بها إلى الكهان . فيكذبون معها مئة كذبة ، فيتعلل الناس بصدقه في واحدة ، ولا يعتبرون بكذبه في مئة ، وهذا يَدلُّ على أنَّ الشيء إذا كان فيه شيء من الحق ، فلا يَدُلُّ على أنَّه حق كله ، فكثيرًا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل ؛ ليكون أقبل لباطلهم. قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٢] .

***

(١) رواه ابن أبي عاصم ، وضعَّفه الألباني في تخريج السنة (٥١٥).

(٢) رواه أبو داود (٢ / ٥٣٦ ) ، وصححَّه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٩٣).

# «١٦»
# بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ الله ﷻ : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وَقَوْلِـهِ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

وَقَوْلِـهِ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وَقَوْلِـهِ : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] .

وَقَوْلِـهِ : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢-٢٣] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : «نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لله وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَـهُ الرَّبُّ ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا- ثُمَّ يُقَالُ لَـهُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١) .

وَقَالَ لَـهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ : «**مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا**

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠ / ٣٣٦١) ، ومسلم (١٩٤).

الله ، **خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١) فَتِلْكَ ٱلشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ ٱلْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ الله ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله .

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ ٱلْإِخْلَاصِ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ ؛ لِيُكْرِمَهُ ، وَيَنَالَ ٱلْمَقَامَ ٱلْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ ٱلَّتِي نَفَاهَا ٱلْقُرْآنُ : مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ ٱلشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ. وَقَدْ بَيَّنَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ ٱلْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ. انْتَهَى كَلَامُهُ(٢).

**الشرح :**

مناسبة ذكر باب الشفاعة في كتاب التَّوحيد : أنَّ المشركين الذين يعبدون غير الله يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قال تعالى :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

والشفاعة : هي التوسط للغير ؛ لجلب منفعة ، أو دفع مضرة . وبَيَّنَ الله ـ عز وجل ـ في الآيتين الأولى والثانية أنَّ الشفاعة ملك له. وبَيَّنَ في الآيتين الثالثة والرابعة أنَّها لا تكون إلَّا بشرطين :

**الأول** : الإذن للشافع .

**الثاني** : الرضى عن المشفوع له .

قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢-٢٣] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله – في الكلام على هذه الآيات : «وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق

(١) رواه البخاري (٩٩/ ٦٥٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧- ٧٩).

بها المشركون جميعها ، فالمشرك إنَّما يتخذ معبوده لما يحصل لـه مـن النفـع ، والنفـع لا يكـون إلَّا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكًا كـان شريكًـا ، فـإن لم يكـن شريكًـا لـه كـان معينًـا لـه وظهـيرًا ، فـإن لم يكـن معينًـا ولا ظهـيرًا ، كـان شـفيعًا عنده ، فنفي سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا ، منتقلًا مـن الأعـلى إلى الأدنـى ، فنفـى الملـك ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يطلبهـا المشـرك ، وأثبـت شـفاعة لا نصـيب فيهـا للمشـرك ، وهـي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية : نورًا ، وبرهانًـا ، وتجريـدًا للتوحيـد ، وقطعًـا لأصـول الشـرك وموادّه لمن عقلها»[1] .

**ومناسبة الحديث للترجمة :** أنَّ شرط نيل الشفاعة هو التَّوحيد ؛ وهو قول «لا إله إلَّا الله» بإخلاص. وأسعد : صيغة تفضيل : وهو يَدلُّ في الأغلب على أنَّ شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها .

لكن قد يخرج اسم التفضيل عن بابه ويكون بمعنى الوصف المجرد كما في هذا الحديث ؛ لأنَّه لا نصيب للمشرك في الشفاعة. ومثله : قوله تعالى : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة : ٢٢١]فإنَّه لا نصيب للمشرك في الخيرية ؛ لأنَّ خير صيغة تفضيل أيضًا أصلها أخير ، حذفت همزتها تخفيفًا لكثرة الاستعمال . قال ابن مالك في الكافية :

**وغالبًا أغناهمو خير وشر ... عن قولهم أخير منه وأشر**

**والحكمة من الشفاعة أمران :**

**الأول :** إكرام الشافع ، وإظهار فضله بين العباد .

**الثاني :** نفع المشفوع له .

ومما يَدُلُّ على أنَّ شرط الشفاعة التَّوحيد قوله ﷺ : «**لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي ؛ شفاعةً لأمتي يوم القيامة ؛ فهي نائلةٌ إنْ شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا**» رواه مسلم[2] .

---

(١) مدارج السالكين ج ١ / ص ٣٤٣.

(٢) في صحيحه برقم (٤٩٠ ).

**والشفاعة قسمان :**

**القسم الأول :** الشفاعة الخاصة بالنَّبيّ ﷺ وهي ثلاثة أنواع :

**الأول :** الشفاعة العظمى ؛ وهي المقام المحمود ؛ وهي شفاعته للقضاء بين الخلائق .

**الثاني :** شفاعته في أهل الجنَّة أنْ يدخلوها .

**الثالث :** شفاعته في عمه أبي طالب أنْ يخفف عنه العذاب وهذه مستثناة من قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

**القسم الثاني :** شفاعة له ﷺ ولغيره من الشفعاء وهي ثلاثة أنواع أيضًا :

**الأول :** الشفاعة فيمن استحق النار من الموحِّدين أنْ لا يدخلها .

**الثاني :** الشفاعة فيمن دخل النار من الموحِّدين أنْ يخرج منها

**الثالث :** الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنَّة .

***

«١٧»

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وَفِي اَلصَّحِيحِ(١) : عَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ : لَـمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ لَـهُ : «**يَا عَمِّ قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله**» فَقَالَا لَـهُ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْـمُطَّلِبِ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا ، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْـمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» . **فَأَنْزَلَ الله** ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

وَأَنْزَلَ الله فِي أَبِي طَالِبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

**الشرح :**

مناسبة قصةِ وفاةِ أبي طالب لكتاب التَّوحيد أنَّ العمل مهما عظم وكثر فإنْ لم يُبْنَ على التَّوحيد والإيمان فلا ينتفع به صاحبه ، فلم ينفع أبا طالب دفاعُهُ عن النَّبيِّ ﷺ لرفضه أن يقول : لا إله إلَّا الله . وفيها خطورة قرناء السوء ، وعدم جواز الاستغفار للمشركين ؛ لنهيه سبحانه للنبي ﷺ وللمؤمنين عن ذلك .

**وفيها أن هداية القلوب** لا يملكها إلَّا الله ﷻ.

**أمّا هداية البيان والإرشاد فللأنبياء** وغيرِهم من العلماء والدعاة كما قال تعالى للنَّبيّ ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

***

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) ، ومسلم (٢٤).

«١٨»

## بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء : ١٧١] .

وَفِي الصَّحِيحِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح : ٢٣] .

قَالَ : «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا ، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، وَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ ، وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» .

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّم : قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ : «لَمَّا مَاتُوا ، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»(١) .

وَعَنْ عُمَرَ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أَخْرِجَاهُ(٢) .

وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»(٣) .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ - قَالَهَا ثَلَاثًا»(٤) .

### الشرح :

هذه الأبواب الثلاثة الآتية سيذكر فيها المؤلِّف الذرائع التي تفضي إلى الشرك .

والغلو : هو مجاوزة الحد مدحًا ، أو ذمًّا .

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) أي البخاري (٣٤٤٥) ، وأصله عند مسلم برقم (١٦٩١).

(٣) رواه النسائي برقم (٣٠٥٧) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣).

(٤) في صحيحه (٢٦٧٠).

وأراد المؤلِّف بهذا الباب بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين ؛ وهو الشرك والكفر بالله .

**ومناسبة الآية الأولى للترجمة :** أنَّ الله نهى أهل الكتاب عن الغلو ؛ وهو : مجاوزة الحد في عيسى عليه السلام وبَيَّنَ أنَّ ذلك سبب كفرهم ، وقد أخبر النَّبيّ ﷺ أنَّ هذه الأمة ستتبع سنن أهل الكتاب[١] .

ومناسبة آية سورة نوح للترجمة أنَّ سبب الشرك في قوم نوح ؛ هو الغلو في هؤلاء الصالحين . وأنَّ الشيطان تدرج بهم فلم يأمرهم بعبادتهم في أول الأمر ، وإنما عبدوهم عندما نُسِيَ العلم . وفيه أنَّ الجهل سبب وجود الشرك . وفيه التحذير من خطوات الشيطان ، وتزيينه للباطل .

**ومناسبة الحديث للترجمة :** أن النَّبيّ ﷺ نهى عن مشابهة النصارى في الإطراء له ؛ ويكون ذلك بصرف شيء من العبادات له كما فعلت النصارى مع عيسى عليه السلام.

**ومناسبة الحديث الآخر للترجمة :** أن النَّبيّ ﷺ نهى وحذر من الغلو ، وبَيَّنَ أنَّه سبب هلاك الأمم السابقة .

**قوله : «هلك المتنطعون»** التنطع : هو التشدد والتكلف وهو صورة من صور الغلو الذي هو سبب الهلاك .

***

(١) كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» ، قالوا : يا رسول الله ! اليهود ، والنصارى ؟ قال : «**فمن؟**» رواه البخاري(٧٣٢٠ ) ، ومسلم (٢٦٦٩ ).

«١٩»

## بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!

فِي اَلصَّحِيحِ[(١)] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ، فَقَالَ : «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوِ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**» فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ .

وَلَهُمَا[(٢)] عَنْهَا ، قَالَتْ : «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**» أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ[(٣)] عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي اَلسِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا : «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ اَلصَّلَاةُ فِيهِ ، فَقَدِ

---

(١) رواه البخاري (٣٨٧٣) ، ومسلم (٥٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٣٥) ، ومسلم (٥٣١).

(٣) في صحيحه برقم (٥٣٢).

اتُّخِذَ مَسْجِدًا ، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ ، يُسَمَّى مَسْجِدًا ، كَمَا قَالَ ﷺ : «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[(١)] .

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**» وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ[(٢)] .

**الشرح :**

**قوله : «في الصحيح»** أي : البخاري ومسلم .

ومناسبة الحديث للترجمة أن النَّبيّ ﷺ جعلهم شرار الخلق ؛ بسبب اتِّخاذهم القبور مساجد.

أي : بالصلاة عندها ؛ فإنَّ كل مكان يُصلى فيه فقد اتُّخذ مسجدًا ، كما قال النَّبيّ ﷺ : «**وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[(٣)] .

**قوله : «هؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل»** هذا من كلام شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ ذكره المؤلِّف ؛ تنبيهًا علي ما وقع من شدة الفتنة بالقبور ، والتماثيل . فإنَّ الفتنة بالقبور ، كالفتنة بالأصنام أو أشد[(٤)] .

قال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ : «وهذه العلة التي لأجلها نهى الشرع عن اتِّخاذ المساجد على القبور ، هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم ، إما في الشرك الأكبر ، وإما فيما دونه من الشرك»[(٥)] .

**قول عائشة لما نُزِل برسول الله ﷺ** أي : نزل به الموت والملائكة الكرام .

**قولها : «طفق»** بمعنى : جعل .

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥ ) ، ومسلم (٥٢١ ).

(٢) برقم (٦٨٤٧) ، وهو صحيح ، راجع تحذير الساجد ص ٢٦ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ج ٢ / ص ١٩١ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ / ص ١٩٢ .

**ومناسبة الحديث للباب :** أنَّه لعن اليهود والنصارى بسبب اتِّخاذ قبور أنبيائهم مساجد ؛ بالصلاة عندها .

**قولها : «يحذر ما صنعوا» :** الظاهر أنَّ هذا من كلام عائشة رضي الله عنها لأنَّها فهمت من قوله التحذير من فعلهم .

قال القرطبي رحمه الله : «وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها ، كما كان السبب في عبادة الأصنام»(١) .

***

(١) انظر المفهم ج ٨ / ص ١٠٣ .

«٢٠»

## بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي اَلْمُوَطَّأِ[(١)] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ الله على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**» .

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ في قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] .

قَالَ : «**كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ ، فَمَاتَ ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ**».

وَكَذَا قَالَ أَبُو اَلْجَوْزَاءِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «**كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ**» .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

**الشرح :**

الأوثان : جمع وثن ؛ وهو : كل ما نُصب للعبادة ، وقد يقال له صنم ؛ والصنم : تمثال مُمَثَّل ؛ فيكون الوثن أعم .

**قوله : «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»** فيه أنَّ القبور يمكن أنْ تُجْعَلَ أوثانًا تعبد ؛ وإلَّا فلا يمكن أنْ يدعو النَّبيّ ﷺ بشيء لا يمكن وقوعه .

وقد استجاب الله دعاءه ، كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونية :

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزةٍ وحمايةٍ وصيان

**قوله : «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** لأنَّها ذريعة إلى الشرك

---

(١) مرسلًا كتاب / الصلاة باب / جامع الصلاة برقم (٢٦١) ، وهو صحيح ، راجع تحذير الساجد ص ١٧.

وعبادتهم من دون الله .

واللاتَّ كان رجلًا يلت السويق ؛ يطعم به الحجيج ؛ وهذا عمل صالح . فلما مات ، عكفوا على قبره .

ومناسبته للترجمة : أنَّهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه . وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين .

أما حديث ابن عباس رضي الله عنه فهو ضعيف بهذه الرواية وهناك رواية بلفظ : «**زوَّارات القبور**» بصيغة المبالغة أي : كثيرات الزيارة حسَّنها العلَّامة الألباني ـ رحمه الله ـ [(١)] .

***

(١) السلسلة الضعيفة برقم (٢٢٥) ، وحسن الرواية الأخرى في صحيح ابن ماجه برقم (١٥٧٥).

«٢١»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي ، عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ[(١)] .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فَنَهَاهُ وَقَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ**» رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ»[(٢)] .

**الشرح :**

المراد بالجناب الجانب . وحمايته للتوحيد بسده الذرائع ، والوسائل المفضية إلى ما يضاده ؛ وهو : الشرك .

**ووجه الدَّلالة من الآية :** أنَّ النَّبيّ ﷺ يعزُّ عليه كل ما يعنت الأمة ، ويشق عليها.

وأعظم ما يعنت الأمة ويشق عليها ؛ هو : الشرك . وهو حريص على هدايتكم التي من أعظمها الهداية إلى التَّوحيد ؛ الذي به تقبل الأعمال وبضده تبطل .

**قوله : «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا»** أي : بترك الصلاة فيها[(٣)] ؛ لأنَّ القبور لا يصلي فيها.

---

(١) في السنن (٢٠٤٢) ، وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٧٢١٦ ).

(٢) برقم (٤٢٨) نقلًا عن محقق فتح المجيد (١/ ٤٢٨) ، وهو صحيح ، انظر تحذير الساجد ص ٩٥ .

(٣) المراد صلاة النافلة للنصوص الواردة في ، وجوب صلاة الجماعة كقوله ﷺ : «**ولقد هممت أن آمر** بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس ، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار ) رواه البخاري (٦٢٦ ) ، ومسلم(٦٥١).

**قوله : «ولا تجعلوا قبري عيدًا» :**

قال ابن القيم : «العيد : ما يعتاد مجيئه وقصده ، من زمان ومكان . مأخوذ من المعاودة ، والاعتياد»[(١)] .

أي : بتقصد مجيئه ، ومعاودته .

**قوله : «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»** أي : لا حاجة في تقصد المجيء ، فإنَّ الله قيَّض له ملائكة يبلغونه الصلاة من أمته حيث كانوا .

وحديث علي بن الحسين بمعنى هذا الحديث ، وفيه تبليغه السلام من أمته كذلك .

***

(١) إغاثة اللهفان ـ دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية تحقيق محمد حامد الفقي ج ١ / ص ١٩٠.

«٢٢»

## بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف : ٢١] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : «فَمَنْ ؟» أَخْرِجَاهُ[(١)] .

وَلِمُسْلِمٍ[(٢)] عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ اَلْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ : اَلْكَنْزَيْنِ اَلْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» .

---

(١) البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) في صحيحه برقم (٢٨٨٩).

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١) ، وَزَادَ : «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اَلْأَئِمَّةَ اَلْـمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اَلسَّيْفُ ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْـمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ، ثَلَاثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى اَلْـحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَـهُمْ ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

**الشرح :**

المراد من هذا الباب إثبات وقوع الشرك في هذه الأمَّة وهذه النصوص التي ذكرها المؤلِّف دالة على ذلك .

**فوجه الدَّلالة من الآية الأولى :** أنَّ أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ كفروا لإيمانهم بالجبت ؛ أي : السحر ، وعبادة الطاغوت . وهذه الأمة تتبع سننهم وطريقتهم ؛ كما في حديث أبي سعيد الآتي ؛ فيقعون فيما وقعوا فيه من الشرك وعبادة الطاغوت .

**وكذلك الآية الثانية . أما الآية الثالثة :** فوجه الدَّلالة فيها أنَّ اتخاذ المساجد على القبور من وسائل الشرك .

**والشاهد من حديث ثوبان** ﷺ ؛ قوله : «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» .

يدلُّ على أنَّ الشرك ـ وهو عبادة الأوثان – واقع في هذه الأمة في فئام منها أي : جماعات . وقد أنكر بعض أهل البدع ذلك . واستدلوا بقوله ﷺ : «**ما أخاف عليكم أنْ تشركوا**» ، وقوله : «**إن الشيطان قد أيس أنْ يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم**» . والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

**الأول :** أن هذا يأس من الشيطان ، ولا يلزم من يأس الشيطان ألَّا يقع ما أيس منه ؛ وقد

(١) **صحيح :** رواه أحمد (٥/ ٢٧٨/ ٢٢٣٩٥) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٣).

قال الله ـ عز وجل – : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

**الثاني** : «ال» في المصلون للاستغراق والمعنى أنَّه أيس أنْ يعبده جميع المصلين ؛ لأنَّه لا تزال طائفة على الحق كما في حديث ثوبان السابق .

**الثالث** : «ال» في المصلون للعهد والمراد بهم الصحابة ، وهذا جواب لحديث «**ما أخاف عليكم أن تشركوا**».

***

«٢٣»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وَقَوْلِهِ : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء : ٥١] .

قَالَ عُمَرُ : «اَلْجِبْتُ : اَلسِّحْرُ ، وَالطَّاغُوتُ : اَلشَّيْطَانُ»(١) .

وَقَالَ جَابِرٌ : «اَلطَّوَاغِيتُ : كُهَّانٌ ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «اِجْتَنِبُوا اَلسَّبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ : اَلشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ اَلرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ»(٣) .

وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا : «حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» رَوَاهُ الترمذي وَقَالَ : «اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ»(٤) .

وَفِي «صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ رضي الله عنه : أَنِ «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» قَالَ : «فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»(٥) .

---

(١) رواه البخاري معلقًا (٨ / ٢٥١ ) كتاب التفسير باب (وإن كنتم مرضى ) ، وقواه الحافظ في الفتح.
(٢) المصدر السابق .
(٣) البخاري برقم (٢٧٦٦) ، ومسلم برقم (٨٩).
(٤) في السنن (١٤٦٠) ، والصحيح أنه موقوف . انظر الضعيفة (٣/ ٦٤١).
(٥) أصله في البخاري برقم (٣١٥٦).

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ» وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ[١].

قَالَ أَحْمَدُ : عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ.

**الشرح :**

**المراد من هذا الباب** بيان حكم السحر، وحكم الساحر. «والسحر : هو عبارة عن عزائم ورُقى وعقد يؤثر في بدن المسحور بالقتل أو بالمرض، أو بالإخلال بعقله، أو يفرِّق بين الزوجين، أو يأخذ الزوج عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها»[٢].

**ومناسبة ذكر السحر لكتاب التَّوحيد** أنَّه نوعٌ من الشرك ؛ لأنَّ فيه استعانة بالشياطين، وصرف العبادة لها ؛ لذلك ذهب مالك وأبو حنيفة إلى كفر الساحر وقال الشافعي : «إنما يكفر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر»[٣].

**ووجه الدَّلالة من الآية** نفي الخلاق ـ وهو النصيب ـ وهذا يدل على كفره.

**أما حديث أبي هريرة** فيَدلُّ على أنَّ السحر من الموبقات ؛ أي : المهلكات. بكل أنواعه.

**وحديث جندب** الصحيح أنَّه موقوف، ويَدلُّ على أنَّ حكم الساحر القتل. وهو قول الجمهور. ولا يستتاب ؛ اتقاءً لشره.

والآثار التي بعده تدل على قتله.

***

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢ / ٢٢٢) ط دار الكتب العلمية قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٣ / ٣ ) إسناده صحيح.

(٢) إعانة المستفيد للعلَّامة الفوزان ..

(٣) المجموع شرح المهذب ج٢٠ / ص ٣٩٧ ط دار الفكر تحقيق محمود مطرجي.

«٢٤»

## بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا قَطَنُ ابْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ**».

قَالَ عَوْفٌ : الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ ، وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ ، وَالْجِبْتُ قَالَ الْحَسَنُ : رَنَّةُ الشَّيْطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ[(١)] .

وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

«وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ ، زَادَ مَا زَادَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ[(٢)] .

وَلِلنَّسَائِيِّ[(٣)] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا ، فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا ، وُكِلَ إِلَيْهِ**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٤)] .

وَلَهُمَا[(٥)] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**».

**الشرح :**

**المراد من هذا الباب** السحر بالمعنى العام ؛ وهو : كُلُّ ما فيه تأثير فيعد سحرًا بالمعنى العام فيدخل فيه النميمة والفصاحة والبيان كما سيأتي .

---

(١) في المسند (٥/ ٦٠ / ٢٠٦٠٤) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٩٠٠).

(٢) في السنن (٣٩٠٥) ، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٧٩٣).

(٣) في السنن (٤٠٧٩) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٠٢).

(٤) في صحيحه (٢٦٠٦).

(٥) أي البخاري (٥٠٤٦) ، ومسلم (٨٦٩).

**قوله :** «**العيافة**» هي التشاؤم بزجر الطير

**قوله :** «**الطرق**» هو الخط في الأرض يفعله بعض الكهان يَدَّعُون به معرفة الغيب .

**قوله :** «**الطيرة**» : هي التشاؤم بزجر الطير وغيرها .

**قوله :** «**من الجبت**» أي : نوع من السحر .

**قوله :** «**من اقتبس شعبة من النجوم**» أي : جزءًا من النجوم .

**قوله :** «**فقد اقتبس شعبة من السحر**» أي : في الاستدلال بالنجوم على معرفة الغيب .

**قوله :** «**زاد ما زاد**» أي : كلما زاد منها زاد في السحر والإثم . أمّا حديث أبي هريرة فضعيف لكن معناه صحيح تشهد له نصوص أخرى .

**قوله :** «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**» هذا العقد والنفث ؛ هو : ما يفعله الساحر . كما قال تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٤] يعني : السواحر اللاتي يفعلن ذلك ، والنفث ؛ هو : النفخ من الريق . وهو : دون التفل .

**قوله :** «**ومن سحر فقد أشرك**» لأنَّه يستعين بالشياطين .

أمَّا جَعْلُ النميمة والبيان من السحر أي : بالمعنى العام . لأنَّها تؤثر في الإفساد بين الناس . والبيان من السحر ؛ لأنَّ به يُصور الباطلُ حقًا كما قيل :

**في زخرفِ القولِ تزيينٌ لباطله ... والحق قد يَعتريه سوءُ تعبيرِ**

**وقال بعضهم في قوله :** «**إنَّ من البيان لسحرًا**» : أنَّ هذا على حسب ما اُسْتُعمل البيانُ لأجله ، فإن كان لبيان الحق ورد الباطل ؛ فيكون ممدوحًا . وإن كان لتلبيس الحق بالباطل ؛ فيكون مذمومًا .

***

«٢٥»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[(١)] عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(٢)].

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ : «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا» - : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا ، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**».

وَلِأَبِي يَعْلَى[(٣)] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**» رَوَاهُ الْبَزَّارُ[(٤)] بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[(٥)] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، دُونَ قَوْلِهِ : «وَمَنْ أَتَى» إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ[(٦)] : «**الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى**

---

(١) برقم (٢٢٣٠) دون قوله : (فصدقه).

(٢) في السنن (٣٩٠٤) ، وهو صحيح ، انظر صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٣) في مسنده (٥٤٠٨) ، وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (١٠ / ٢١٧).

(٤) برقم (٣٥٧٨) ، وهو صحيح لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٠٤١) ، وغاية المرام (٢٨٩).

(٥) برقم (٤٢٦٢) ، وهو حسن انظر غاية المرام (٢٨٩).

(٦) شرح السنة (١٢ / ١٨٢).

الْـمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ» .

وَقِيلَ : هُوَ الْكَاهِنُ ، وَالْكَاهِنُ : هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْـمُغَيَّبَاتِ فِي الْـمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ : الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ ، وَالْـمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ ، وَنَحْوِهِمْ ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ [١] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ» وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ : «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَـهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ» [٢] .

## الشرح :

هذا الباب في حكم إتيان الكهان . وإتيان الكهان له أحوال :

**الأول :** شرك أكبر إذا ظنَّ أنَّ الكاهن نفسه يعلم الغيب في المستقبل ؛ أي : الغيب المطلق ، أو يعلم الغيب الجزئي ـ وهو الغائب عنه الآن لكنه موجود ـ بغير واسطة الشياطين .

**الثاني :** شرك أصغر إذا صدَّق الكاهن في الغيب الجزئي وهو يعلم أنَّه بواسطة الشياطين .

**الثالث :** إذا أتاهم ولم يصدقهم فهذا من الكبائر .

**الرابع :** إذا أتاهم وسألهم على وجه الامتحان لإظهار كذبهم ؛ فهذا جائز ، وقد يكون مستحبًا ، أو واجبًا. أفاده شيخ الإسلام واستدل على جواز السؤال للامتحان وإظهار الكذب بفعل النَّبيِّ ﷺ مع ابن صياد[٣] .

والعرَّاف والكاهن والرمَّال والمنجم اجتمعوا في دعوى معرفة الغيب وإن اختلفت طرائقهم في التلبيس ويدخل في حكمهم من ادَّعى معرفة الغيب بأي طريقة كانت .

وهم يوهمون الناس أنَّ هذا من الكرامات ، وهو استعانة بالشياطين كما قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٩٨٠٥) ، وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع برقم (٣٠٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ٦٢.

يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

**أثر ابن عباس ضعيف .** ومعناه صحيح ؛ لأنَّ كل من ادَّعى معرفة الغيب بأي طريقة فهو داخل في مسمى الكهان .

***

« ٢٦ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ : «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ[(١)] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ : «سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ : ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ» .

وَفِي «الْبُخَارِيِّ»[(٢)] عَنْ قَتَادَةَ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيِّبِ : رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. انتهى .

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَحِلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ[(٣)] .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ[(٤)] : النُّشْرَةُ : حَلُّ السِّحرِ عَنِ الْمَسْحُورِ ، وَهِيَ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا : حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ ، بِمَا يُحِبُّ ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ ، وَالثَّانِي : النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ ، وَالتَّعَوُّذَاتِ ، وَالْأَدْوِيَةِ ، وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ ، فَهَذَا جَائِزٌ.

### الشرح :

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنَّ النشرة التي منها حلُّ السحر بالسحر نوع من الشرك؛ لأنَّ فيها استعانة بالشياطين.

**قوله : «رجل به طب»** بكسر الطاء أي : سحر . وكنُّوا بالطب عن السحر تفاؤلًا ؛ كما يقال

(١) في المسند (٣/ ٢٩٤/ ١٤١٣٥) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحه (٢٧٦٠ ).

(٢) معلقًا (١٠/ ٢٣٣) كتاب : الطب / باب : هل يستخرج السحر.

(٣) إسناده صحيح رواه ابن جرير في تهذيب الآثار ؛ كما ذكره الحافظ في الفتح (١٠ / ٢٣٣ ) بلفظ (لا يعلم ذلك إلَّا ساحر).

(٤) إعلام الموقِّعين (٤/ ٣٩٦) ط دار الجيل – بتصرف يسير.

للديغ : سليم تفاؤلاً بسلامته ، وللرفقة المسافرة قافلة تفاؤلاً برجوعها.

وقال ابن الأنباري : الطب من ألفاظ الأضداد . يقال لعلاج الداء : طب ، وللداء نفسه .

***

«٢٧»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣١].

وَقَوْلِهِ : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس : ١٩] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**لَا عَدْوَى ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَلَا هَامَةَ ، وَلَا صَفَرَ**» أَخْرَجَاهُ[(١)] .

زَادَ مُسْلِمٌ[(٢)] : «**وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ**».

وَلَهُمَا[(٣)] عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا عَدْوَى ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**» قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ : «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

وَلِأَبِي دَاوُدَ[(٤)] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُروة بْنِ عَامِرٍ قَالَ : «**ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

وَلَهُ[(٥)] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا. وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

---

(١) أي البخاري (٥٧٥٧) ، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) في صحيحه برقم (٢٢٢٠).

(٣) أي البخاري (٥٧٧٦) ، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) في السنن (٣٩١٩) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩٩ ).

(٥) أبو داوود في السنن (٣٩١٠) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٢٩ ).

وَلِأَحْمَدَ[١] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو : «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَقَدْ أَشْرَكَ**» قَالُوا : فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ : «**أَنْ تَقُولَ اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» .

وَلَهُ[٢] مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ : «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**» .

**الشرح :**

التطير : هو التشاؤم بالطيور ، والأسماء ، والألفاظ ، والبقاع ، وغيرِها .

وغلب عليه إطلاق التطير ؛ لأنَّ العرب كانوا يتشاءمون بزجر الطير .

**قوله :** ﴿**طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ**﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ (أي : مصائبهم عند الله ومن قِبَله)[٣] .

**وكذلك قوله :** ﴿**طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ**﴾ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ ( أي : مردود عليكم )[٤] .

**قوله :** «**لا عدوى**» العدوى ؛ هي : انتقال المرض من المريض إلى السليم . وهي لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله .

**قوله :** «**ولا هامة**» الهامة بتخفيف الميم ؛ هي : نوع من الطيور. وقيل هي البومة .

**قوله :** «**ولا صفر**» قيل : هي حية تكون في البطن ، تصيب الماشية والناس . والمراد نفي العدوى .

**وقيل :** المراد به الشهر كانوا يتشاءمون به ولا يزال الناس يتشاءمون به.

**قوله :** «**ولا نوء**» واحد الأنواء وهي منازل القمر. وهي ثمان وعشرون منزلةً ، كل منزلةٍ لها نجم تدور بمدار السنة . وكانت العرب تقول مطرنا بنوء كذا ، ولا يقولون مطرنا بفضل الله ورحمته ، ولا شك أنَّ هذا غاية الجهل .

---

(١) في المسند (٢ / ٢٢٠ / ٧٠٤٥) ، وهو صحيح راجع صحيح الجامع (١٠٦٥ ).
(٢) أي لأحمد في المسند (١ / ٢١٣ / ١٨٢٤ ).
(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٦٠٢ ط دار الفتح الشارقة.
(٤) المصدر السابق ج ٦ / ص ٧٥٤.

وهذه المنازل نفسها في سنة تكون فيها مطر ، وفي أخرى لا تكون فيها مطر مما يَدلُّ على أنَّها لا تأثير لها .

**قوله : «لا غُول»** مفرد الأغوال أو الغيلان . وهي تَشكُّل الشياطين ، لأشكال مفزعة ومخيفة. والشيطان حريص على إدخال الخوف والحزن على الإنسان . والمقصود ؛ أنَّ من عظم توكله لا يتأثر بهذه الأشياء .

**قوله : «الفأل»** هو : التفاؤل والاستبشار بالشيء . والفرق بينه وبين الطيرة أنَّ الطيرة جعلها صاحبها سببًا وليست سببًا ؛ لذلك صارت شركًا . أما الفأل فليس هو المحرك للإنسان وإنَّما صاحبه متوكل على الله فإذا رأى شخصًا اسمه سهل تفاءل بالسهولة ونحوها من أمور الخير التي تناسب اسم الشخص الذي رآه ؛ وهذا من حسن الظن بالله .

**قول ابن مسعود : «وما منَّا إلَّا ولكن الله يذهبه بالتوكل»** يعني : ما منَّا إلَّا وتعرض له الطيرة . لكن الطيرة التي هي الشرك ؛ هي : التي ترد صاحبها عن حاجته ؛ كما قال : «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[١] .

***

(١) ثبت عن النَّبيّ ﷺ أنه قال : «**إن يكن من الشؤم شيء حق ، ففي الفرس ، والمرأة ، والدار** » رواه مسلم برقم (٥٧٦٨ ) .

قال العلَّامة الألباني في السلسلة الصحيحة ص ٨٠٤ : (والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء ؛ لأن معناه : لو كان الشؤم ثابتًا في شيء ما ؛ لكان في هذه الثلاثة ، لكنه ليس ثابتًا في شيء أصلًا ، وعليه ؛ فما في بعض الروايات بلفظ : (الشؤم في ثلاثة ) ، أو : (إنما الشؤم في ثلاثة ) ؛ فهو اختصار ، وتصرف من بعض الرواة ، والله أعلم ).

«٢٨»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١): قَالَ قَتَادَةُ : «**خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا ، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ**» انْتَهَى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢).

**الشرح :**

التنجيم ؛ هو : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

ومناسبته لكتاب التوحيد ؛ لأنَّ منه ما هو شرك

**وعلم التنجيم نوعان :**

**الأول :** علم التأثير : وهو الاستدلال بها على الحوادث وهذا باطل

**الثاني :** علم التسيير : وهو الاستدلال بسيرها على معرفة القبلة والجهات وهذا مطلوب .

وترخيص أحمد وإسحاق في تعلم منازل القمر محمول على هذا النوع ، من معرفة القبلة والجهات والفصول .

وقول قتادة مستنبط من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا ﴾ [الملك : ٥] .

**وقوله: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾** [النحل : ١٦] .

أمّا حديث أبي موسى رضي الله عنه فضعَّفه بعضهم ، ولكن صحَّ الوعيد في حق العاق والمدمن .

(١) معلقًا (٦ / ٢٩٥ ) كتاب بدء الخلق/ باب/ في النجوم.

(٢) ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع ، وصحَّ الوعيد في حق العاق ، والمدمن في صحيح الجامع (٣٠٥٢).

« ٢٩ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**».

وَقَالَ : «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١) .

وَلَهُمَا(٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ : «**قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

وَلَهُمَا(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ ، وَفِيهِ : «قَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٥ – ٨٢ ] .

### الشرح :

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنَّ نسبة السقيا للأنواء من الشرك ، وهو إمَّا شرك أكبر

(١) في صحيحه برقم (٩٣٤ ).

(٢) أي البخاري (٨٤٦ ) ، ومسلم (٧١ ).

(٣) أي مسلم (٧٣ ) ، ولم يروه البخاري.

أو أصغر كما سيأتي .

**قوله :** ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ وذلك بإضافة نعمة المطر إلى الأنواء ، وهذا إمَّا شرك أكبر وذلك في حالتين :

**الأولى :** أنْ يدعو النوء مثل أن يقول يا نوء كذا اسقنا .

**الثانية :** أنْ يعتقد أنها هي الفاعلة بنفسها .

وإمَّا شرك أصغر ؛ وذلك إذا اعتقد أنها سبب .

والاستسقاء بالأنواء ؛ المراد به : نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء . والأنواء ؛ هي : جمع نوء وهي منازل القمر .

قال أبو السعادات : وهي ثمان وعشرون منزلة ؛ ينزل القمر كل ليلة منزلة منها . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس : ٣٩] .

والنياحة : هي رفع الصوت عند المصيبة ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، والدعاء بالويل والثبور وغيرها ممَّا هو منافٍ للصبر وليس منها دمع العين ، وحزن القلب .

**قوله : «وعليها سربال من قطرانٍ ودرع من جرب» .**

قال القرطبي : السربال : واحد السرابيل ؛ وهي الثياب والقمص ؛ يعني أنَّهن يلطخن بالقطران ؛ فيكون لهن كالقمص ؛ حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ، ورائحتهن أنتن ، وألمهن بسبب الجرب أشد(١) .

وقال ابن عباس : القطران هو : النحاس المذاب(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٩-٥٠] .

**والشاهد في حديث زيد :** أنَّهم كفروا بنسبة المطر إلى الأنواء . وهو إما كفر أكبر ، أو أصغر . على حسب التفصيل السابق .

---

(١) المفهم ج ٨ / ص ٦٥.

(٢) انظر تفسير الطبري (٧ / ٤٨٥- ٤٨٦ ).

« ٣٠ »

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وَقَوْلِهِ ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» أَخْرَجَاهُ[1] .

وَلَهُمَا[2] عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ[3] : «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى**» إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : «**مَنْ أَحَبَّ فِي الله ، وَأَبْغَضَ فِي الله ، وَوَالَى فِي الله ، وَعَادَى فِي الله ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا**». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[4] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

---

(١) أي البخاري (١٥ ) ، ومسلم (٤٤ ) .

(٢) أي البخاري (١٦ ) ، ومسلم (٤٣ ).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤١ ).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٣٥٣ ) ط دار الكتب العلمية.

قَالَ : «الْـمَوَدَّةُ»[(١)] .

**الشرح :**

هذا الباب يتعلق بالمحبة . والمحبة تنقسم إلى قسمين :

**الأول :** محبة عباده وهي : التي توجب التذلل والتعظيم ، وأنْ يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أنْ يمتثل أمره ، ويجتنب نهيه . وهذه خاصة بالله ، وصرفها لغير الله شرك وتسمى المحبة مع الله .

**الثاني :** محبة ليست بعبادة في ذاتها ، وهذه أنواع :

**الأول :** المحبة لله ، وفي الله : كمحبة الرسل ، والأنبياء ، والصديقين ، والصالحين .

**الثاني :** محبة إشفاق ورحمة : وذلك كمحبة الولد ، والصغار ، والضعفاء ، والمرضى .

**الثالث :** محبة إجلال وتعظيم لا عبادة : كمحبة الإنسان لوالده ، ومعلمه ، ولكبير من أهل الخير .

**الرابع :** محبة طبيعية : كمحبة الطعام ، والشراب ، والملبس ، والمسكن ، وغيرها من المباحات وهذا النوع إذا قصد به الاستعانة على العبادة صارت عبادة لله يُؤجر عليها[(٢)] .

قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قال ابن كثير – رحمه الله ـ : يذكر تعالى حال المشركين به حيث جعلوا له أندادًا أي : أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه ؛ كما قال تعالى عنهم : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨] .

أما المؤمنون فكما قال تعالى عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

فلحبهم لله وتمام معرفتهم به ، وتوقيرهم وتوحيدهم له ؛ لا يشركون به شيئًا ؛ بل يعبدونه

---

(١) رواه ابن جرير (٢٤٢٣ ) ، والحاكم (٢ / ٢٧٢ ).

(٢) القول المفيد لابن عثيمين.

وحده ويتوكلون عليه ، ويلجأون في جميع أمورهم إليه[(١)] .

**قوله : قال ابن عباس في الأسباب قال :** المودة ، أي : لم تنفعهم لأنهم أشركوا بالله في هذه المحبة .

❋❋❋

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٦١٥ ط دار الفتح الشارقة بتصرف يسير.

«٣١»

## بَابُ

## قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : «**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ ، إِنَّ رِزْقَ الله لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**»(١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْه وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢) .

**الشرح :**

هذا الباب يتعلق بالخوف .

وذكر المؤلِّف باب الخوف بعد باب المحبة لأنَّ العبادة لا تقوم إلَّا عليهما ؛ فالمحبة يُمتثل بها الأمر ، وبالخوف يُجتنب النهي .

**والخوف أقسام :**

**الأول :** خوف السر ؛ وهو : أن يخاف من وثن ، أو قبر ، أو طاغوت ، أنْ يُصيبه بما يكره ؛

(١) موضوع كما في الضعيفة (١٤٨٢ ).

(٢) برقم (٢٧٦ ) ، ورواه أيضًا الترمذي (٢٤١٤ ) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣١١ ).

فهذا شرك أكبر ؛ كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود : ٥٤] .

وقال : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر : ٣٦] وهذا هو الواقع من عُبَّاد القبور.

**الثاني :** أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بعض الناس . وهذا محرم . وهذا سبب نزول الآية

**الثالث :** الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو ، أو سبع ، أو غير ذلك ؛ فهذا لا يذم لذاته ، إلَّا إذا حمل صاحبه على فعل محرم ، أو ترك واجب .

قال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص : ٢١] [١] .

**أما أثر أبي سعيد** رضي الله عنه فهو موضوع . ومعناه صحيح .

**وجه الدَّلالة من حديث عائشة** أنَّ على الإنسان ألا يخاف من الناس فقلوبهم بيد الله ، فمن أرضى الله أرضاهم عنه والعكس .

❊❊❊

(١) فتح المجيد.

«٣٢»

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [الأنفال : ٢] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الْآيَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَالنَّسَائِيُّ.

**الشرح :**

**هذا الباب يتعلق بالتوكل .**

والتوكل : هو اعتماد القلب على الله ، مع إظهار العجز ، وفعل الأسباب .

وهو نوع من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله وعدم الإشراك فيها .

**وجه الدَّلالة من الآية الأولى :** أنَّ الله أمر بالتوكل ، وجعله شرطًا في الإيمان ؛ فدلَّ على أنَّه عبادة . وقدَّم الجار والمجرور ؛ لإفادة الحصر ؛ وهو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عن سواه.

**ووجه الدَّلالة من الآية الثانية :** أنَّ الله ذكر من صفات المؤمنين التوكل على الله ؛ فدلَّ على أنَّه عبادة .

**ووجه الدَّلالة من الآية الثالثة :** أنَّ الله أخبر أنَّه كافٍ نبيه ﷺ والمؤمنين ، فلا يتوكلون

(١) في صحيحه (٤٥٦٣ ).

على غيره .

وليس معنى الآية عطف المؤمنين علي الله ليصير المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون بل عطف المؤمنين على الضمير الكاف ويصير المعنى : الله كافٍ النَّبي ﷺ والمؤمنين . فتأمل ! [(١)] .

**ووجه الدَّلالة من الآية الرابعة :** أنَّ من توكل على الله فهو حسبه أي : كافيه .

وكذلك قول إبراهيم والنَّبيّ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ : حسبنا الله . أي : كافينا .

***

(١) انظر مقدمة زاد المعاد فإن لابن القيم كلامًا نفيسًا على هذه الآية.

## «٣٣»

## بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ : «**الشِّرْكُ بِالله ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله**» [(١)] .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : «**أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ : الْإِشْرَاكُ بِالله ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله**» رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ [(٢)] .

**الشرح :**

المراد من هذا الباب الجمع بين الخوف والرجاء ومناسبته لكتاب التوحيد أنَّ كليهما من أنواع العبادة .

والمكر : هو إيقاع العقوبة بمن يستحقها من حيث لا يشعر .

وهو من صفات المقابلة التي تَدُلُّ على الكمال ؛ كالاستهزاء ؛ والخداع . فلا يسمى بها الله وإنَّما تذكر على سبيل المقابلة قال تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] لأنَّ المكر بالماكر يَدُلُّ على الكمال ، أمَّا الخيانة فهي نقص من كل الوجوه ؛ لأنَّها : مكر في موضع الائتمان . وهو مذموم .

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [الأنفال : ٧١].

فإذا عرفت هذا ؛ تبيَّن لك خطأ قول بعض العامة «الله يخون الخائن» فإنَّها مقالة كفرية .

---

(١) هذا لفظ ابن أبي حاتم برقم (٥٢٠١ ) ، وهو حسن كما في الصحيحة برقم (٢٠٥١ ).

(٢) في مصنفه (١٩٧٠١ ) ، والطبراني في الكبير (٨٧٨٣ ).

والفرق بين اليأس والقنوط أنَّ القنوط يكون من حصول المرغوب ، واليأس يكون من تفريج الكروب .

**وقيل** : القنوط : هو أشدُّ اليأس .

**قوله** : «**رَوْحِ الله**» أي : تفريجه .

***

«٣٤»

## بَابٌ : مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١] .

قَالَ عَلْقَمَةُ : «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»[(١)] .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

وَلَهُمَا[(٣)] عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**».

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ ، عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٤)] .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا اِبْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ[(٥)] .

### الشرح :

الصبر : قال ابن القيم: «أصل هذه الكلمة : هو المنع والحبس ؛ فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن الشكوى والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما»[(٦)] .

---

(١) رواه البخاري معلقًا (٨ / ٦٥٢ ) كتاب التفسير.

(٢) في صحيحه برقم (٦٧ ).

(٣) أي البخاري (١٢٩٧ ) ، ومسلم (١٠٣ ).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٦ ) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨١ ).

(٥) في السنن (٢٣٩٦ ) ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠ ).

(٦) عدة الصابرين ص ١٩ ط مكتبة الصفا.

«وأما حقيقته : فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها»[(١)] .

**وأنواعه ثلاثة :**

**الأول :** صبر على الطاعة وهو أفضل أنواعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] ، وقوله :﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] .

**الثاني :** صبر عن المعصية .

**الثالث :** صبر على أقدار الله المؤلمة من مرضٍ ، أو فقرٍ ، أو موتِ قريبٍ ، ونحوِها .

وجزاء الصبر أجرٌ بغير حساب ؛ كما قال تعالى :﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

**قوله : ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ :**

قال ابن كثير : «قال ابن عباس : يعني : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأول الآية ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : بأمر الله ؛ يعني : عن قدره ومشيئته»[(٢)] .

**قوله : «النياحة» :** هي البكاء مع ندب الميت ؛ أي : تعداد محاسنه .

**قوله : «ضرب الخدود»** قال الحافظ ـ في الفتح ـ : «خُصَّ الخدُ لكونه الغالب وإلَّا فضرب بقية الوجه مثله»[(٣)] .

**قوله : «شق الجيوب» :** هي شق رأس الثوب عند المصيبة وهو من عادة الجاهلية .

**قوله : «دعا بدعوى الجاهلية» :** أي : من النياحة ونحوها .

---

(١) المصدر السابق ص ٢١.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٨ / ص ١٧٦ ط دار الفتح الشارقة.
(٣) فتح الباري (٤ / ٢٦٩ ) دار أبي حيان الطبعة الأولى.

**قوله في حديث أنس رضي الله عنه : «إذا أراد الله بعبده الخير ؛ عجَّل له بالعقوبة في الدنيا»** : فالخير في تعجيل العقوبة لكونه مكفرًا للذنوب والخطايا .

والناس عند المصيبة ثلاث مراتب :

**الأولى :** التسخط وهو محرم ، وقد يؤدي إلى الكفر .

**الثانية :** الصبر وهو واجب .

**الثالثة :** الرضا وهو مستحب .

***

« ٣٥ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : «**قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا : بَلَى قَالَ : الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهَ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ(٢) .

**الشرح :**

الرياء : هو : أنْ يعمل العمل لأجل رؤية الناس . وذكر الرياء من باب التغليب ، ويدخل فيه التسميع ، وهو من الشرك الأصغر ، ولا يكون أكبر ؛ إلَّا إذا دخل الإسلام مرائيًا .

وبطلان العمل بالرياء على أنواع :

**الأول** : أن يكون الباعث على العبادة من أصلها مراءاة الناس . وهذا يبطل العبادة .

**الثاني** : أن يطرأ الرياء في أثناء العبادة ؛ وهنا له معه حالان:

**الأول** : أن يدافعه ولا يسكن إليه ؛ فهذا لا يضره .

**الثاني** : أن يطمئن إليه ويسترسل معه ؛ فهنا للعبادة حالتان :

**الأولى** : أن يبنى أولها على آخرها كالصلاة فتبطل كلها.

---

(١) في صحيحه برقم (٢٩٨٥ ).

(٢) في المسند (٣/ ٣٠/ ١١٢٥٢ ) ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٧ ).

**الثانية** : أن لا يبنى أولها على آخرها كالصدقة فيصح ما أخلص فيه ويبطل ما خالطه الرياء(١) .

والإخلاص وعدم الرياء هو أحد شرطي قبول العمل ، والشرط الآخر أن يكون العمل على السنة ؛ لقوله ﷺ : «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» رواه مسلم(٢) .

***

(١) القول المفيد بتصرف يسير.

(٢) في صحيحه (٤٤٦٨ ).

«٣٦»

## بَابٌ : مِنَ الشِّرْكِ : إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِه الدُّنْيَا

وَقَوْلِـهِ تَعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥-١٦] .

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»(١) .

### الشرح :

بين هذا الباب والباب السابق عموم وخصوص مطلق ، والعمل لأجل الدنيا أعظم من الرياء من جهة أنَّه قد يغلب على كثير من الأعمال بخلاف الرياء فقد يعرض في عمل دون عمل .

قال قتادة في الآية : أي : من كانت الدنيا همَّه ، وطلبته ، ونيَّته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها ، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ، ويثاب عليها في الآخرة (٢) .

قوله : «تعس» : بكسر العين ، ويجوز فتحها ، أي : هلك .

قوله : «الخميصة» : هي : ثياب جميلة معلَّمة من الصوف ، أو الخز .

قوله : «الخميلة» : هي الفرش الوثيرة .

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٦) .

(٢) تفسير الطبري .

وإضافة العبد لغير الله تكون شركًا أكبر إذا صرف له عبادة وتكون شركا أصغر إذا عمل العمل لأجله وهو المراد بقوله :« **تعس عبد الدينار** ».

**قوله : «تعس وانتكس»** الانتكاس : هو معاودة المرض . والمراد الدعاء عليه بالخيبة .

**قوله : «شيك»** أصابته شوكة .

**قوله : «فلا انتقش»** دعاء عليه بعدم إخراج الشوكة بالمنقاش والمراد عدم التوفيق .

**قوله : «إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط»** كحال المنافقين كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة : ٥٨].

**قوله : «طوبى لعبد ... الخ»** طوبى : هي الجنَّة ؛ والمراد : أنَّه يقوم بواجبه وما وكل إليه ، و لا يهتم بالشهرة ، والمنصب ، الحراسة والساقة عنده سواء . لا قيمة له عند أهل الدنيا ، ولكنه ذو منزلةٍ ومكانةٍ عند ربه .

كما قال النَّبيّ ﷺ : «**رب أشعث مدفوعٍ بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره**»(١) .

***

(١) رواه مسلم (٢٦٢٢ ).

« ٣٧ »

## باب مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ : «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ ، أَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!»(١) .

وَقَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ : اَلشِّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلَكَ(٢) .

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ : «أَنَّهُ سَمِعَ اَلنَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ اَلْآيَةَ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، قَالَ : **أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ(٣) .

### الشرح :

طاعة العلماء والأمراء على أنواع :

**الأول** : طاعتهم في اعتقاد ما أحلوه من الحرام ، أو ما حرموه من الحلال ، وهذا شرك أكبر. وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢١].

**الثاني** : طاعتهم في فعل المعصية مع اعتقاد حرمتها ؛ وهذا محرم ، وليس بشرك .

---

(١) هذا اللفظ ذكره ابن القيم في إعلام الموقِّعين ، ولم يعزه لأحد ، وقد صحَّ بلفظٍ آخر فيه انظره بتحقيق الشيخ مشهور ـ حفظه الله ـ (٣ / ٥٣٩ ).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٢٦٠ ).

(٣) في السنن (٣٠٩٥ ) ، وحسنه العلَّامة الألباني في الصحيحة برقم (٣٢٩٣ ).

**قوله : «يوشك»** أي : يقرب .

وفيه ذم من عارض قول النَّبيِّ ﷺ بقول غيره .

قال الإمام الشافعي : «أجمع العلماء على أنَّ مَنْ استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أنْ يدعها لقول أحد»[(١)].

وقول الإمام أحمد بهذا المعنى .

**وحديث عدي فيه أنَّ** مَنْ أطاع غير الله في اعتقاد تحليل الحرام ، والعكس ، فقد أشرك .

والناس على ثلاث مراتب :

**الأولى :** الاجتهاد : وهو النظر في الأدلة واستنباط الأحكام منها من قبل المجتهد .

**الثانية :** الاتباع : وهو أن يقول بقول المجتهد مع دليله .

**الثالثة :** التقليد : وهو أن يأخذ القول من غير معرفة دليله .

وهذا لا يسمى علمًا ، وأطلق بعض الحنفية عليه اسم الجاهل ، ولذلك قالوا : «إنَّ المقلِّد لا يجوز له الإفتاء» .

**ويدلُّ على هذه المراتب قول علي رضي الله عنه :** «والناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيؤوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»[(٢)].

❊❊❊

(١) إعلام الموقِّعين (٢ / ٢٨٢ ).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٧٩ – ٨٠.

« ٣٨ »

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٠-٦٢] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» قَالَ النَّوَوِيُّ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّة» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(١) .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ(٢) : كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ : نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ ،

---

(١) ضعفه الألباني في تخريج السنة (١٥).

(٢) صحَّح إسناده الحافظ في الفتح (٥ / ٣٧).

فَنَزَلَتْ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾[النساء : ٦٠] .

وَقِيلَ : «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ الْآخَرُ : إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ الله ﷺ : أَكَذَلِكَ؟ قَالَ : نَعَمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ»[(١)] .

**الشرح :**

هذا الباب يتعلق بالحكم بغير ما أنزل الله . والحكم بغير ما أنزل الله على أربعة أنواع :

**الأول :** أن يحكم بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاد أنَّ حكمه أفضل من حكم الله .

**الثاني :** أن يحكم بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاد أنَّ حكمه مساوٍ لحكم الله .

**الثالث :** أن يحكم بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاد أنَّ حكم الله أفضل من حكمه لكن يجوز له أن يحكم بغيره . فهذه الأنواع الثلاثة كفر أكبر .

**الرابع :** أن يحكم بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاد أنَّ حكم الله أفضل ، ولا يجوز الحكم بغيره ، لكن حكم لمصلحة دنيوية ، فهذا كفر أصغر لا يُخْرِج من المِلَّة[(٢)] .

فاعرف هذا وعضَّ عليه بالنواجذ تنج من ذي عظيمةٍ !

***

(١) قال الحافظ في الفتح (٥ / ٣٨ ) : ، وهذا الإسناد ، وإن كان ضعيفًا لكن تقوى بطريق مجاهد ، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد.

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن باز ج ٥ / ص ٣٥٥.

«٣٩»

## بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[١] قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!».

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ[٢] عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَـمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟!! يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!» انْتَهَى.

وَلَـمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ[٣]: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

**الشرح:**

الجحود: هو التكذيب المصحوب بالعناد.

والفرق بينه وبين التكذيب من جهتين:

**الأولى:** أنَّ الجحود مصحوب بالعناد.

**الثانية:** أنَّ الجحود تكذيب في الظاهر مع إقرار في الباطن. كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

والواجب في الأسماء والصفات: إثباتها من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل وهذا مذهب السلف الذي هو أسلم وأعلم وأحكم، ولا نجاة إلَّا باتباعهم.

---

(١) برقم (١٢٧).

(٢) في مصنفه (٢٠٨٩٥)، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنَّة في تخريج السنة.

(٣) رواه ابن جرير عن مجاهد (٢٠٣٩٧).

**قول علي** رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون» أي : بما يمكن أن يعرفوه ، وهذا كقول ابن مسعود رضي الله عنه : «إنك لن تحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنة»[(١)].

**قول ابن عباس : ما فرق ؛** فيها ثلاث روايات :

**الأولى :** فرَقُ بفتح الراء ، وضم القاف .

**الثانية :** فرَّقَ بفتح الراء مشددة ، وفتح القاف .

**الثالثة :** فرَقَ بفتح الراء مخففة ، وفتح القاف .

**فعلى الرواية الأولى ؛** ما : استفهامية ؛ أي : ما خَوَّفَ هؤلاء من إثبات الصفات .

**وعلى الرواية الثانية ، والثالثة ؛** تكون فعلًا ماضيًا بمعنى : فَرَّقَهم[(٢)].

**قوله : «يجدون رِقَّة عند محكمه»** أي : قبولًا ولينًا عند محكم القرآن .

**قوله : «يهلكون عند متشابهه»** أي : متشابه القرآن . وآيات الصفات محكمة من جهة المعنى متشابهة من جهة الكيفية ؛ فيُثْبت المعنى ، ويُفوَّض الكيف .

والقرآن قد وُصِف في موضع بأنَّه مُحكم كلُّه كما في قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] ، والمعنى : أتقنت ، وأحسنت . وقد وصف في موضعٍ آخر بأنه متشابه كلُّه كما في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر : ٢٣ ].

**والمعنى :** أنه متشابه في الحسن ، والائتلاف ، وعدم الاختلاف .

وقد وصف في موضعٍ آخر بأنه منه المحكم ، ومنه المتشابه ، كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] والمعنى : أنَّ منه المتشابه الذي يحتمل أكثر مِنْ معنى فيشتبه على فهوم كثيرٍ مِنْ الناس ، ومنه المحكم ، الذي

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

(٢) القول المفيد لابن عثيمين .

لا يحتمل إلَّا معنىً واحدًا . فيجب رد المتشابه إلى المحكم ؛ لأنَّ كلام الله لا يخالف بعضه بعضًا قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢][1] .

وهذه سمة أهل الحق . أما أهل الضلال والهوى فيتركون المحكم ويتبعون المتشابه طلبًا للفتنة كما قال تعالى عنهم : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران : ٧] .

***

(١) انظر تفسير السعدي ص ١٢٢ ، ط مؤسسة الرسالة.

«٤٠»

## بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] .

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ : «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي ، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي»(١) .

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الله : «يَقُولُونَ : لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا»(٢) .

وَقَالَ اِبْنُ قُتَيْبَةَ : يَقُولُونَ : «هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا»(٣) .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» الْحَدِيثِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ(٤) : «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ» .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : هُوَ كَقَوْلِهِمْ كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً ، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا. وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرٍ(٥) .

**الشرح :**

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنَّ نسبة النعم لغير الله من الشرك .

**قوله : قال الله تعالى : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾** قال ابن كثير - رحمه الله - «أي : يعرفون أنَّ الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره»(٦) .

---

(١) رواه ابن جرير (٢١٨٤٠ ).

(٢) رواه ابن جرير (٢١٨٤٢ ).

(٣) ذكره الطبري (٧/ ٦٣٠ ) دار الكتب العلمية.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣ ).

(٦) في تفسيره ج ٤ / ص ٧٤٢ ط دار الفتح الشارقة.

وإضافة النعمة إلى غير الله على أنواع :

**الأول** : إضافتها إلى سببٍ استقلالًا من دون الله ؛ وهذا شرك أكبر .

**الثاني** : إضافتها إلى سبب وهمي مع اعتقاد أنَّ الله تعالى هو المنعم ؛ وهذا شرك أصغر .

**الثالث** : إضافتها إلى سبب حقيقي من غير استقلال ؛ وهذا فيه خلاف والراجح جوازه ، لقوله ﷺ في عمه أبي طالب : «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[1] .

***

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٨٣) ، ومسلم برقم (٢٠٩).

«٤١»

## بَابُ

قولِ الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ : «الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : وَاللهِ ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ ، وَحَيَاتِي ، وَتَقُولَ : لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ ، لَأَتَى اللُّصُوصُ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ : لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا ، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(١)] .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ[(٢)]، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»[(٣)].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(٤)] .

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ؛ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ : بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، قَالَ : «**وَيَقُولُ : لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ ، وَلَا تَقُولُوا : لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ**»[(٥)].

### الشرح :

قوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] الند : المثيل والنظير .

(١) في تفسيره (٢٢٩ ).

(٢) في السنن (١٥٣٥ ) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤ ).

(٣) صحَّحه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢ ).

(٤) في السنن (٤٩٨٠ ) ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧ ).

(٥) رواه عبد الرزاق (١٩٨١١ ).

والمعنى لا تجعلوا له أندادًا في توحيد العبادة ، وأنتم مقرون أنَّه لا ندَّ له في توحيد الربوبية ؛ فإنَّ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية .

**قوله : «وحياتك»** لا يجوز ؛ لأنَّه حلف بغير الله ؛ وهو شرك أصغر .

**قوله : «لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص»** الصحيح جوازه إذا كان على غير وجه الاستقلال كما مرَّ في الباب السابق .

حديث ابن عمر يَدلُّ على أنَّ الحلف بغير الله شرك والمراد الشرك الأصغر إذا كان لفظيًا ، وقد يكون أكبر إذا كان يعتقد المساواة في التعظيم .

**قول ابن مسعود رضي الله عنه :** «لأنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»

فيه أنَّ الشرك الأصغر أعظم وأكبر من الكبائر .

وأثر حذيفة يمنع العطف بالواو لأنه موهم للتسوية ، ويجوز بثم لأنها تفيد التبعية ؛ أي : أنَّ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله .

***

«٤٢»

## بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِالله

عَنْ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حَلَفَ بِالله فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله ، فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ الله**» رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ[١] بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

**الشرح :**

تقدم في الباب السابق النهيُّ عن الحلف بغير الله ، وأنَّه شرك إما أكبر ، أو أصغر .

وفي هذا الباب أمر بالصدق في الحلف لأنَّ الكذب فيه من الأيمان الغموس ، ومن صفات المنافقين كما قال تعالى عنهم : ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة : ١٤] .

**ومن حُلِف له بالله فليرض** ؛ إن كان الحالف معروفًا بالصدق ، ومن لم يرض ؛ فإنَّ الله بريئ منه ؛ وهذا يدلُّ على أنَّه من الكبائر .

***

(١) في السنن (٢١٠١) ، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨) .

«٤٣»

## بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[(١)] وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ[(٢)] أَيْضًا عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ بَلْ! مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

وَلِابْنِ مَاجَهْ[(٣)] عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا؛ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ؛ قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

### الشرح:

حديث قُتَيْلَة يدلُّ على أنَّ الحلف بغير الله شرك؛ وكذلك العطف بالواو في المشيئة لأنَّه

(١) في السنن (٣٧٧٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٦).

(٢) أي للنسائي في عمل اليوم، والليلة (٩٨٨) راجع الصحيحة (١٣٩).

(٣) في السنن (٢١١٨).

موهم للتسوية ويجوز بثم ؛ لأنَّها تفيد التبعية ؛ أي : أنَّ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] .

**وإرشاده في حديث ابن عباس :** «أن يقول ما شاء الله وحده» أراد أن يقطع له كل ذريعة إلى الشرك ولو بَعُدَتْ .

**أمّا حديث الرؤيا عن الطفيل :** فهو بالمعنى السابق في الحديثين . والذي كان يمنعه ﷺ الحياء قبل أن يوحى إليه فيها شيء(١) .

***

(١) ذكره العلَّامة ابن باز في تعليقه على فتح المجيد ضمن كلام نفيس انظره غير مأمور.

«٤٤»

## بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

وَفِي الصَّحِيحِ(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**قَالَ اللهُ تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ : «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»(٢) .

**الشرح :**

**مناسبة هذا الباب لكتاب التَّوحيد** كون سب الدهر إيذاءً لله واعتقادًا أنَّ غيره له تصرف في هذا الكون وهذا منافٍ لأصل التَّوحيد وعدم الصبر على القضاء والقدر وهذا منافٍ لكمال التَّوحيد.

والسب : هو الشتم ، والتقبيح ، والذم ، وما أشبه ذلك .

والدهر ؛ هو : الزمان .

وسب الدهر ينقسم إلى قسمين :

**الأول :** أنْ يسب الدهر على أنَّه فاعل ؛ وهذا شرك أكبر .

**الثاني :** أنْ يسب الدهر على أنَّه محل لهذا الأمر المكروه ؛ وهذا محرم ، وهو من السفه والضلال ؛ لأنَّ حقيقة السب تعود إلى الله ؛ لأنَّ الله ـ عز وجل ـ هو الذي يُصرِّفُه(٣) .

أما وصفه بالشدة فليس من السب كأن يقول : هذا يوم شديد وعسر ونحس أو بارد أو حار بل هو جائز ومنه قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : ٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَيَّامٍ

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦ ) ، ومسلم (٢٢٤٦ ).

(٢) رواه مسلم (٢٢٤٦ ).

(٣) انظر القول المفيد.

نَّحِسَاتِ ﴾ [فصلت : ١٦] .

**وقوله :** ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩] .

**ومعنى الحديث أنَّ** العرب كانت من شأنها ذم الدهر ، وسبه عند النوازل ؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره . فإذا سبوا الدهر ؛ رجع السب إلى الفاعل وهو الله ؛ فنُهوا عن سب الدهر.

**وليس في قوله : «أنا الدهر»** أنَّ الدهر من أسمائه تعالى ؛ لأنَّ الدهر اسم جامد ، وأسماء الله أعلام وأوصاف ؛ ولقوله تعالى عن الكفار : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

والدهر هو الزمن الذي يقلبه الله . فهو بمعنى أنا مقلب الدهر فحُذف المضاف ، وأُقيم المضاف إليه مقامه ؛ وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية معروف وقد عقده ابن مالك رحمه الله في الألفية بقوله :

**ومـــا يـــلي المضـــاف يـــأتي خلفًـــا عنـــه في الإعـــراب إذا مـــا حـــذفا**

❋❋❋

«٤٥»

## بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ أَخْنَعَ اِسْمٍ عِنْدَ الله : رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ ، لَا مَالِكَ إِلَّا الله**» .قَالَ سُفْيَانُ : مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ : «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ**»[٢] .

قَوْلُهُ : «**أَخْنَعُ**» يَعْنِي أَوْضَعُ.

**الشرح :**

**مناسبة هذا الباب لكتاب التَّوحيد** أنَّ من تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلَّا الله ؛ لأنَّ الذي يقضي بين القضاة هو الله ، والذي يملك الأملاك هو الله ، والذي تسمى بذلك أراد العلو فعومل بنقيض قصده فصار أوضع الناس عند الله وأبغضهم ، وأخبثهم .

**قوله : «مثل شاهان شاه»** هذا عند العجم يقابله ملك الأملاك .

أمّا إذا ذكر هذا مقيدًا مثل : قاضي قضاة منطقة كذا فيجوز ؛ لأنَّه لا يدل على العموم الذي يدل عليه قول : قاضي القضاة.

***

(١) رواه البخاري (٦٢٠٦ ) ، ومسلم (٢١٤٣ ) .

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣ ).

## «٤٦»

# بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**» فَقَالَ : إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي ، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ فَقَالَ : «**مَا أَحْسَنَ هَذَا ، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**» قُلْتُ : شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ قَالَ : «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**» قُلْتُ : شُرَيْحٌ قَالَ : «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[١] وَغَيْرُهُ .

**الشرح :**

هذا الباب يدلُّ على وجوب توقير وتعظيم أسماء الله تعالى ؛ لأنَّ ذلك من تعظيم الله تعالى

**وأسماء الله تعالى على قسمين :**

**الأول :** ما لا يصح إلَّا لله فهذا لا يسمى به غيره ، وإنْ سُمي به غيره وجب تغييره ؛ مثل : الله ، الرحمن ، رب العالمين ، وما أشبه ذلك .

**الثاني :** ما يصحُّ أنْ يُوصف به غير الله فإن لوحظت في التسمية الصفة ؛ منع التسمِّي به ، وإن لم تلاحظ الصفة ؛ جاز التسمِّي به على أنَّه علم محض .

لكن يستحب تغييره من باب التنزيه ؛ لأنَّ النَّبيّ ﷺ أنكر الاسم ، وأمر بالتغيير قبل معرفة السبب . ويدلُّ على الجواز : أنَّ من الصحابة من كان اسمه الحكم ، كالحكم بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه .

والكنية : هي ما صُدِّر بأبٍ أو أمٍّ ، وقد تكون للمدح ؛ كما في الحديث السابق ، وقد تكون للذم ؛ كأبي جهل ، وقد تكون لمصاحبة الشيء ؛ كأبي هريرة ، وقد تكون مجرد علم كأبي العباس ابن تيمية ؛ إذ ليس له ولد[٢] .

بخلاف اللقب وهو ما أشعر بمدح أو ذم ، وفي الحديث ما يدلُّ على أن التكني يكون بالأكبر ؛ رعايةً لحقه في التوقير .

---

(١) في السنن (٤٩٥٥ ) ، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٠ / ٤٥٥ ).

(٢) انظر القول المفيد.

«٤٧»

## بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ؛ دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَنَّهُ : «قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا ، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا ، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ» يَعْنِي : رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ ، فَقَالَ لَهُ عَوْفُ ابْنُ مَالِكٍ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] . مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»[١] .

### الشرح :

هذا الباب يَدُلُّ على وجوب تعظيم الله . ومن تعظيمه عدم الاستهزاء بما فيه ذكره ، أو بآياته ، أو برسوله ﷺ ؛ لأنَّ الاستهزاء بشيء من ذلك كفر منافٍ لأصل الإيمان . ويدخل في هذا الاستهزاء بأهل الدين ؛ لأجل دينهم وهو يعلم أنَّ ما استهزأ به من الدين . فإن كان لا يعلم أنَّه من الدين ؛ فليس بكفر ؛ لكنه محرم لدخوله في عموم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وفيه أنَّ الاستهزاء بشيءٍ مما ذُكر كفر بذاته ؛ لأنَّه هو الذي كفرهم الله به ، مع أنَّه أثبت لهم إيمانًا قبل مقالتهم . فتأمل هذا واحذره ! .

(١) إسناد ابن عمر حسنه العلَّامة مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول ص (٧١) .

«٤٨»

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت : ٥٠] .

قَالَ مُجَاهِدٌ : «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ» .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «يُرِيدُ : مِنْ عِنْدِي» .

وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] .

قَالَ قَتَادَةُ : «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْـمَكَاسِبِ» .

وَقَالَ آخَرُونَ : عَلَى عِلْمٍ مِنَ الله أَنِّي لَهُ أَهْلٌ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ : «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى ، فَأَرَادَ اللهُ أَنَّ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ**» . قَالَ : «**فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا قَالَ : فَأَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ** «شَكَّ إِسْحَاقُ» **فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، وَقَالَ : بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيهَا**» .

قَالَ : «**فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا فَقَالَ : أَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْبَقَرُ أَوْ الْإِبِلُ فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا ، قَالَ : بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

فَأَتَى الْأَعْمَى ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ : الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ» .

قَالَ : «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ اِنْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا ، فَأَعْطَاكَ اللهُ ﷻ الْمَالَ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ» . قَالَ : «و أَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا ، فَقَالَ له : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ» . قَالَ : «وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ اِنْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» أَخْرَجَاهُ[١] .

## الشرح :

**مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد** : أنَّ نسبة النعم لغير الله نوع من الشرك.

**أمّا الآية** فقد ذكر المؤلِّف عن ابن عباس وغيره ما يكفي ويشفي .

**وأمّا الحديث** ، ففيه أنَّ من أقرَّ بالنعمة ونسبها إلى مسديها ، وقام بحق الله تعالى فيها ، فهذا سبب ثباتها وزيادتها كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] وسبب نجاته في الدنيا والآخرة ومن أنكرها وكفرها ولم يقم بحق الله تعالى فيها فهذا سبب زوالها ،

---

(١) البخاري برقم (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤).

والسخط من الله على صاحبها ، وخسران الدنيا والآخرة ؛ كما حصل للأبرص والأقرع ، ووفق الله الأعمى للشكر من الاعتراف بأنَّها من الله ، وقام بحق الله فيها من الصدقة ؛ فاثبت الله له النعمة وأعطاه ما هو أعظم وأجل وهو رضا الله عنه كما قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] بسبب اعترافه بالنعمة بنسبتها إلى مسديها وشكره لمعطيها ففاز بالحسنيين .

قوله : «انقطعت بي الحبال» ، أي : الأسباب .

***

«٤٩»

# بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] .

قَالَ اِبْنُ حَزْمٍ : «اِتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اِسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ اَلْكَعْبَةِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، حَاشَا عَبْدَ اَلْمُطَّلِبِ»(١) .

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ ؛ قَالَ : لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ؛ حَمَلَتْ ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ ، فَقَالَ : إِنِّي صَاحِبُكُمَا اَلَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ ، لَتُطِيعُنَّنِي ، أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِلٍ ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ ، فَيَشُقُّهُ ، وَلَأَفْعَلَنَّ ؛ وَلَأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهُمَا ، سَمِّيَاهُ عَبْدَ اَلْحَارِثِ ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا ، فَذَكَرَ لَهُمَا ، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ اَلْوَلَدِ ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اَلْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ رَوَاهُ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ(٢) .

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

قَالَ : أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنْ اَلْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا.

**الشرح :**

**أما أثر ابن عباس فضعيف .**

**قول ابن حزم : «حاشا عبد المطلب»** الصحيح أنَّ عبد المطلب داخل في النهي ، أما قوله ﷺ : «**أنا ابن عبد المطلب**» فهو من باب الإخبار(٣) .

---

(١) مراتب الإجماع (١٥٤ ).

(٢) في تفسيره (٨٦٥٤ ) ، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١ / ٥١٧ ).

(٣) انظر : تحفة المودود في أحكام المولود ط دار ابن القيم ص ١٨٩ تحقيق سليم الهلالي.

**قول قتادة : «شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته»** أي : المعصية ؛ فإنَّ المعصية تسمى شركًا بالمعنى العام .

**قوله : «قرني أيِّلٍ»** الأيِّل : نوع من الغزال .

***

«٥٠»

# بَابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠]

ذَكَرَ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١] عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ ﴿ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾ يُشْرِكُونَ وَعَنْهُ سَمُّوا اَللَّاتَ مِنَ اَلْإِلَهِ ، وَالْعُزَّى مِنَ اَلْعَزِيزِ .

وَعَنِ اَلْأَعْمَشِ : «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»[٢] .

**الشرح :**

**مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد :** أنَّ الإلحاد في أسماء الله تعالى نوع من الشرك .

والإلحاد : هو الميل بها عن معناها الصحيح .

ويكون الإلحاد باشتقاق أسماء للأصنام من أسماء الله ، كما فعل المشركون فقد اشتقوا اسم اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنَّان ، ويكون بإنكارها وتعطيلها عن معناها ، كما يكون بتشبيهها بالمخلوق وبطلان ذلك كله في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

**ومن الإلحاد فيها :** أن يُدخل فيها ما لم يثبت بالكتاب والسنة أنه منها ؛ فإنَّ أسماء الله توقيفيّة .

**قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونية:**

وحقيقـــة الإلحـــاد فيهـــا الميـــل ... بـــالإشراك والتعطيـــل والنكـــران

---

(١) في تفسيره (٨٥٨٦ ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٨٥٨٧ ).

قوله : ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ يدخل فيه اختيار الاسم الذي يناسب الحاجة عند الدعاء فيقول : يا غفور اغفر لي ، يا رزَّاق ارزقني ، وهكذا .

ويدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ : يا رسول الله أرأيتَ إنْ علمتُ إي ليلةٍ ليلةُ القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : قولي : «اللهم إنَّك عفوٌ تُحبُ العفوَ فاعفُ عني»[١] .

***

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم ٣٨٥٠) .

.

«٥١»

## بَابٌ : لا يُقَالُ : اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي «اَلصَّحِيحِ»[١] عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلصَّلَاةِ؛ قُلْنَا : اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ ، اَلسَّلَام عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «**لَا تَقُولُوا اَلسَّلَام عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ اَلسَّلَامُ**».

**الشرح :**

**هذا الباب يَدُلُّ على** كمال الله تعالى وأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى ولذلك ؛ يُمْنع أنْ يُقال السلام على الله ؛ لما يلي :

**الأول :** أنَّ مثل هذا الدعاء يوهم النقص في حقه ، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك ؛ إذ لا يدعى لشيء بالسلام من شيء إلَّا إذا كان قابلًا أن يتصف به ، والله ـ سبحانه ـ منزّه عن صفات النقص .

**الثاني :** إذا دعوت الله أن يسلم نفسه ؛ فقد خالفت الحقيقة ؛ لأنَّ الله يُدْعى ولا يُدْعى له ، فهو غنيٌّ عن خلقه ، لكن يُثْنى عليه بصفات الكمال مثل غفور ، سميع ، عليم ، وغيرِها[٢] .

**ويدلُّ الحديث على أنَّ** السلام من أسماء الله ؛ قال تعالى : ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر : ٢٣] .

***

(١) رواه البخاري (٨٣٥ ) ، ومسلم (٤٠٢ ).

(٢) انظر القول المفيد.

«٥٢»

## بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ[(٢)]: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

**الشرح:**

**هذا الباب فيه** بيان الأدب مع الله في الدعاء. وأنَّ قول العبد إنْ شئت في الدعاء محرم؛ لورود النهي عن ذلك؛ كما في هذا الحديث؛ لأنَّ الله لا مكره له يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء ولا يتعاظمه شيء؛ ولأنَّ هذه اللفظة تدل من العبد على ضعف الرغبة فيما عند الله، وتشعر بأنَّ الطالب مستغنٍ عن الله.

قال العلَّامة السعدي ـ رحمه الله ـ: «يجزم في الأمور التي هي خيرٌ محض كالرحمة والمغفرة والعافية والرزق وأما الأمور التي لا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور: «اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي» وكدعاء الاستخارة»[(٣)].

**وأمَّا قوله ﷺ: «لا بأس طَهُورٌ إن شاء الله»**[(٤)] فأجيب عنه بأوجه:

**الأول:** أنَّ هذا من باب الخبر وليس من باب الدعاء بدليل رفعها على أنَّها خبر ولو كانت دعاءً لكانت منصوبة على تقدير اللهم اجعلها طهورًا.

**الثاني:** أنَّ هذا جائز؛ لأنَّه على جهة الغيبة والدعاء للغير بخلاف المخاطبة والدعاء للنفس لأنَّ المخاطبة تقتضي الذل وإظهار الحاجة والافتقار وهذا يقتضي العزم في المسألة[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) في صحيحه (٢٦٧٩).

(٣) القول السديد.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٦١٦).

(٥) انظر شرح الطحاوية للعلَّامة صالح آل الشيخ ص ١١٠٦ ط دار المودة.

«٥٣»

## بَابٌ : لا يَقُولُ : عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي اَلصَّحِيحِ[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ ، وَضِّئْ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأَمَتِي وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

**الشرح :**

**هذا الباب فيه** تعظيم الله عز وجل ومن تعظيمه ترك التشريك حتى في اللفظ . والنهي في هذا الحديث للكراهة ، بالاتفاق ؛ كما حكاه ابن حجر رحمه الله[٢] .

**قوله : «أطعم ربك وضيء ربك»** إضافة لفظة الرب إلى غير الله تنقسم إلى أقسام :

**الأول :** أنْ تضاف إلى كاف الخطاب مثل «ربك» وهذا مكروه .

**الثاني :** أنْ تضاف إلى ياء المتكلم مثل «ربي» وهذا مكروه أيضًا لقوله ﷺ : «**لا يقولن أحدكم : عبدي ، فكلكم عبيد الله ، ولكن ليقل : فتاي ، ولا يقل العبد : ربي ، ولكن ليقل : سيدي**»[٣] .

**الثالث :** أنْ تضاف إلى هاء الغائب وهذا جائز ، كما في حديث الضالة : «**حتى يجدها ربها**»[٤] .

**الرابع :** أنْ تضاف الربوبية إلى اسم ظاهر ، فيقال : رب الغلام ، فظاهر الحديث الجواز ، وهو كذلك ما لم يوجد محذور فيمنع[٥] .

أمَّا العبودية فقد سبق تفصيلها في قوله : «**تعس عبد الدرهم** ... الحديث»[٦] .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢ ) ، ومسلم (٢٢٤٩ ).

(٢) في الفتح ج ٦ ص ٦٨٦ ط دار أبي حيان الطبعة الأولى.

(٣) رواه مسلم برقم (٥٨٣٦ ).

(٤) رواه البخاري برقم (٢٤٢٨ ) ، ومسلم برقم (٤٤٧٤ ) .

(٥) انظر القول المفيد.

(٦) في باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

«٥٤»

## بَابٌ : لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِالله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَنْ سَأَلَ بِالله؛ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله؛ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ؛ وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[١] وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

**الشرح :**

**هذا الباب فيه** تعظيم الله عز وجل ومِنْ تعظيمه : أنْ يُعاذ من طلب الإعاذة به ، وأنْ يعطى مَنْ سأل به .

**قوله : «ومن دعاكم فأجيبوه»** هذا مِنْ حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وهي مستحبة ، إلَّا في وليمة العرس فإنَّها واجبة[٢] ؛ لقوله ﷺ : «**ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله**»[٣] .

ويشترط لإجابة الدعوة شروط :

**الأول** : أنْ يكون الداعي ممن لا يجب هجره أو يُسن .

**الثاني** : ألا يكون هناك منكر في مكان الدعوة ، فإن كان هناك منكر ، فإن أمكنه إزالته ، وجب عليه الحضور لسببين :

**الأول** : إجابة الدعوة .

**الثاني** : تغيير المنكر .

وإن كان لا يمكنه إزالته حَرُم عليه الحضور ؛ لأنَّ حضوره يستلزم إثمه ، وما استلزم الإثم فهو إثم .

---

(١) في السنن (١٦٧٢) ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٠).

(٢) انظر القول المفيد.

(٣) رواه البخاري (٥١٧٧) ، ومسلم (١٤٣٢).

**الشرط الثالث** : أن يكون الداعي مسلمًا ، وإلَّا لم تجب إجابته ؛ لقوله ﷺ : «**حق المسلم على المسلم ست ..**» . وذكر منها : «**إذا دعاك فأجبه**»(١) .

**قوله** : «**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه ... الخ**» أفاد هذا أنَّ من المروءة المكافأة على المعروف .

وفيه أنَّ الدعاء لصانع المعروف مِنْ المكافأة . بل هو مِنْ أعظم أنواع المكافأة لقوله ﷺ : «**مَنْ صُنِعَ إليه معروف فقال لصاحبه : جزاك الله خيرًا ؛ فقد أبلغ في الثناء**»(٢) .

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٢١٦٢) ، وذكر هذه الشروط العلَّامة ابن عثيمين في القول المفيد.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٥) ، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٠٠) ، وصحيح الجامع (٦٢٤٤).

«٥٥»

## بَابٌ : لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلا اَلْجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(١)] .

**الشرح :**

هذا الحديث ضعيف .

قال العلَّامة الألباني _ رحمه الله ـ في الصحيحة «١ – ٤٥٧» : ويَدلُّ على تحريم السؤال به تعالى حديث : «**لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنة**» ولكنه ضعيف الإسناد ، كما بينه المنذري وغيره ، ولكن النظر الصحيح يشهد له فإنَّه إذا ثبت وجوب الإعطاء لمن سأل به تعالى كما تقدم ، فسؤال السائل به قد يعرض المسؤول للوقوع في المخالفة وهي عدم إعطاءه ما سأل وهو حرام ، وما أدى إلى محرم فهو حرام فتأمل !

***

(١) في السنن (١٦٧١) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٥١) .

«٥٦»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ «لَوْ»

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران : ١٥٤].

وَقَوْلِـهِ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

فِي اَلصَّحِيح[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ؛ فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**».

**الشرح :**

**المراد مِنْ هذا الباب** تعظيم الله ﷻ ومِنْ تعظيمه ألا يُعترض على قضائه ، وقدره ، وشرعه.

أما لفظة : «لو» فإنَّها تقال على ستة أوجه[٢] :

**الأول :** أنْ تستعمل في الاعتراض على الشرع ، كقوله تعالى عن المنافقين: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

أي : رأيُّنا خير مِنْ تشريع رسول الله ﷺ ؛ وهذا محرم ، وقد يصل إلى الكفر .

**الثاني :** أنْ تستعمل في الاعتراض على القدر ، قال تعالى : ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

أي : لو أنَّهم بقوا ما قتلوا ، فهم يعترضون على قدر الله ، وهذا محرم أيضًا .

**الثالث :** أنْ تستعمل في الندم والتحسر ؛ وهذا محرم أيضًا . وهو المراد من الحديث .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤ ).

(٢) انظر القول المفيد.

**الرابع :** أنْ تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية ؛ كقول المشركين : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام : ١٤٨] وقولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف : ٢٠] وهذا باطل .

**الخامس :** أنْ تستعمل في التمني ، وحكمها حكم المُتَمنى : إنْ كان خيرًا فخير ، وإنْ كان شرًا فشر .

وفي الصحيح عن النَّبيّ ﷺ في قصة النفر الأربعة قال أحدهم : «لو أنَّ لي مالًا لعملت بعمل فلان» ، فهذا تمنى خيرًا ، وقال الثاني : «لو أنَّ لي مالًا لعملت بعمل فلان» ؛ فهذا تمنى شرًا ، فقال النَّبيّ ﷺ في الأول : «**فهو بنيته ؛ فأجرهما سواء**» ، وقال في الثاني : «**فهو بنيته ؛ فوزرهما سواء**»(١) .

**السادس :** أن تستعمل في الخير المحض . وهذا جائز ، مثل : لو حضرت الدرس لاستفدت ، ومنه قوله ﷺ : «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم**»(٢) .

***

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧٢٢٩) ، ومسلم (١٢١١).

« ٥٧ »

## بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ ؛ فَقُولُوا : اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ(١) .

**الشرح :**

السب : هو الشتم ، والعيب ، والقدح ، واللعن ، وما أشبه ذلك .

**وهذا الباب مثل باب النهي عن سب الدهر ،** إلَّا أنَّ سب الدهر عام ؛ لأنَّه يشمل جميع حوادث الدهر . وسب الريح خاص .

والساب لها يقع سبه على من صرفها . ولولا أنَّ المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبًا ؛ لكان الأمر أفظع من ذلك ؛ ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم(٢) .

وليس من سبها أن توصف بالشدة ، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٦] .

***

(١) في السنن (٢٢٥٢) وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١ / ٢٦١) .

(٢) انظر القول السديد.

«٥٨»

## بابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٦] .

**قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ فِي اَلْآيَةِ اَلْأُولَى:**

«فُسِّرَ هَذَا اَلظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ الله وَحِكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ اَلْحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ اَلْقَدْرِ وَإِنْكَار أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ اَلسَّوْءِ اَلَّذِي ظَنَّهُ اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ اَلْفَتْحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ اَلسَّوءِ ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ اَلصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ اَلْبَاطِلَ عَلَى اَلْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا اَلْحَقُّ ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا اَلْحَمْدَ ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَذَلِكَ ظَنُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اَلنَّارِ.

وَأَكْثَرُ اَلنَّاسِ يَظُنُّونَ بِالله ظَنَّ اَلسَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَه وَصِفَاتِهِ وَمُوجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اَللَّبِيبُ اَلنَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا ، وَلْيَتُبْ إِلَى الله ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ اَلسَّوْءِ. وَلَوْ فَتَّشْت مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى اَلْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا ؛ فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا»[(١)] .

﴿ الشرح : ﴾

المراد من هذا الباب تعظيم الله ﷻ ومن تعظيمه ـ سبحانه ـ حُسنُ الظن به ، وعدم سوء الظن به ـ سبحانه – . وخلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظنِّ السوء ثلاثة أمور :

الأول : أنْ يظنَّ أنَّ الله يَدِيل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق ؛ فهذا هو ظن المشركين والمنافقين في سورة الفتح .

قال تعالى : ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح : ١٢] .

الثاني : أن ينكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره ؛ لأنه يتضمن أن يكون في ملكه ـ سبحانه ـ ما لا يريد ، مع أن كل ما يكون في ملكه فهو بإرادته .

الثالث : أن ينكر أن يكون قدَّره لحكمة بالغة يستحق عليه الحمد ؛ لأنَّ هذا يتضمن أن تكون تقديراته لعبًا وسفهًا ، – تعالى الله عن ذلك ـ ونحن نعلم علم اليقين أنَّ الله لا يُقدِّر شيئًا أو يُشرِّعه إلَّا لحكمة قد تكون معلومةً لنا وقد تقصر عقولنا عن إدراكها ، ولهذا يختلف الناس في علل الأحكام الشرعية اختلافًا كبيرًا بحسب ما عندهم من معرفة حكمة الله تعالى[(٢)].

وسوء الظن بالله سبب الردى والخسران في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال ﷺ : «**لا يموتنَّ أحدكم إلَّا وهو يحسن الظن بربه**»[(٣)] .

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ) بتصرف.

(٢) انظر القول المفيد.

(٣) رواه مسلم (٧١٥٨ ).

« ٥٩ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ : وَاَلَّذِي نَفْسُ اِبْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ : «**اَلْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله اَلْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اُكْتُبْ فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ اَلسَّاعَةُ**» يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢)].

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ[(٣)]: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى اَلْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اُكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ[(٤)] قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ الله بِالنَّارِ».

وَفِي «اَلْمُسْنَدِ» و«اَلسُّنَنِ»[(٥)] عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ ؛ قَالَ : «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ

---

(١) في صحيحه برقم (٨).

(٢) رواه الترمذي (٢١٥٥) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٣) في المسند (٥ / ٣١٧ / ٢٢٧٠٧).

(٤) في كتاب القدر (٢٦) ، ورواه أيضًا ابن أبي عاصم في السنة انظر تخريج السنة.

(٥) أبو داود (٤٦٩٩).

أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ قَالَ : فَأَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ ٱلْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ ٱلنَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ» .

**الشرح :**

**هذا الباب فيه** بيان حكم منكري القدر ، وأنَّهم كفار ، كما يَدلُّ عليه كلام ابن عمر في عدم قبول النفقة منهم ، وهذا دليل على كفرهم ، كما قال تعالى في المنافقين : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٥٤] وقد سماهم النَّبيّ ﷺ مجوس هذه الأمة ، كما في الحديث :

«القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[(١)] .

**وقال بعض السلف في القدرية :** «ناظروهم بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا» .

بالعلم ؛ أي : بعلم الله السابق .

**وقال الإمام أحمد :** القدر قدرة الرحمن .

وهو سر مكتوم لا يعلمه إلَّا الله.

ويطلق على معنيين :

**الأول :** التقدير : أي : إرادة الله تعالى الشيء .

**الثاني :** المقدَّر : أي : ما قدَّره الله ﷻ والتقدير يكون مصاحبًا للفعل وسابقًا له . فالمصاحب للفعل هو الذي يكون به الفعل ، والسابق هو الذي قدَّره الله ﷻ في الأزل .

**قوله : «وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه» .**

الشر في المفعول وتعلقه بالعبد لما يحصل له من الابتلاء من : مرض ، وفقر ، وغيرها . لا في

(١) رواه أبو داود ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٢ ).

فعل الله فإن فعله سبحانه كلَّه خير كما قال النَّبيّ ﷺ : «**والشر ليس إليك**»[١] ؛ فالإنسان إذا صبر على هذه المصائب يُؤجر عليها وهذا هو الخير بعينه .

وللقدر أربع مراتب :

**الأولى** : العلم .

**الثانية** : الكتابة . وقد دلَّ على هاتين المرتبتين قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] .

**الثالثة** : المشيئة . وتسمى بالإرادة الكونية ؛ فلا يقع في ملكه إلَّا ما يشاء . سواءً كان من فعله ، أو من فعل المخلوق . قال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] . وقال في فعل المخلوق : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام : ١١٢].

**الرابعة** : الخلق . فما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلَّا وهو مخلوق لله ، قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر : ٦٢] وهذا العموم يشمل المخلوق ويشمل صفات المخلوق ، فكلاهما مخلوقان لله ، وفعل العبد يتعلق به شيئان :

**الأول** : خلق ؛ وهذا يتعلق بالله .

**الثاني** : مباشرة الفعل ؛ وهذه تتعلق بالمخلوق وتنسب إليه ، كما قال تعالى : ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة : ٢٤] ولولا نسبة الفعل إلى العبد ؛ ما كان للثناء على المؤمن المطيع وإثابته ، وعقوبة العاصي وذمه معنى .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع هذه المراتب . وقد جمعت في بيت :

**عِلْمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُهُ ... وخَلقهُ وهو إيجادٌ وتكوينُ**

وهناك تقديرات أخرى نسبية منها :

**الأول** : التقدير العمري ؛ ويدل عليه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين ، وفيه أنَّ الجنين إذا بلغ في بطن أمه أربعة أشهر ؛ يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويكتب

(١) رواه مسلم (٧٧١).

رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي ، أو سعيد .

**الثاني** : التقدير الحولي السنوي : وهو الذي يكون في ليلة القدر ؛ يكتب فيها ما يكون في السنة .

قال تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

**الثالث** : التقدير اليومي : كما ذكره بعض أهل العلم واستدل له بقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] فهو - سبحانه - كل يومٍ يغني فقيرًا ، ويفقر غنيًا ، ويوجد معدومًا ، ويعدم موجودًا ، ويبسط الرزق ويقدره ، وينشئ السحاب والمطر ، وغير ذلك[١] .

***

---

(١) انظر القول المفيد.

« ٦٠ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي المصَوِّرِيْن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً» أَخْرَجَاهُ(١) .

وَلَـهُمَا(٢) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:«أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ الله».

وَلَـهُمَا(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَـهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَـهُمَا(٤) عَنْهُ مَرْفُوعًا : «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

وَلِـمُسْلِمٍ(٥) عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ : «قَالَ لِي عَلِيٌّ : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ أَنْ لا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا ؛ إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

**الشرح :**

**قوله : «باب ما جاء في المصورين»** أي : من الوعيد الشديد .

وحُرِّم التصوير لعلتين :

**الأولى :** لأنَّ فيه مضاهاة لخلق الله تعالى .

**الثانية :** لأنَّه وسيلة إلى الشرك بالله .

---

(١) أي البخاري (٥٩٥٣ ) ، ومسلم (٢١١١ ) ، واللفظ له.

(٢) أي البخاري (٥٩٥٤ ) ، ومسلم (٢١٠٦ ) ، واللفظ له.

(٣) أي البخاري (٢٢٢٥ ) ، ومسلم (٢١١٠ ) ، واللفظ له.

(٤) أي البخاري (٥٩٦٣ ) ، ومسلم (٢١١٠ ).

(٥) في صحيحه (٩٦٩ ).

والتصوير له أحوال :

**الأول** : أن تكون الصورة مجسمة ؛ وهذا محرم بالاتفاق .

**الثاني** : أن تكون الصورة ليس لها جسم وهيكل ، وإنما بالتلوين والتخطيط ؛ وهذا محرم أيضًا ؛ لعموم الحديث .

**الثالث** : أن تكون ملتقطة التقاطًا بأشعة بدون تعديل ، أو تحسين من الملتقط ، فهذا محل خلاف بين العلماء المعاصرين ، والصحيح أنَّ هذا إذا كان للذكرى ، والاقتناء ؛ فإنه حرام . وإن كان لغرض مباح مثل الأوراق الثبوتية فهو جائز .

**الرابع** : أن تكون الصورة من غير ذوات الأرواح ؛ وهذا على نوعين :

**الأول** : أن يكون مما يصنعه الآدمي ؛ وهذا لا بأس به بالاتفاق ؛ لأنه إذا جاز الأصل جازت الصورة

**الثاني** : أن تكون مما لا يصنعه الآدمي ، وإنما يخلقه الله ؛ وهذا نوعان :

**الأول** : نوع لا ينمو ، مثل الجبال ، والأودية ، والبحار ، وهذه لا بأس بتصويرها بالاتفاق.

**الثاني** : نوع ينمو ، مثل : النبات ، وهذا اختلف فيه أهل العلم . فالجمهور على الجواز . وذهب بعضهم إلى المنع ، منهم مجاهد ـ رحمه الله ـ واستدلوا بقوله في الحديث : «**فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة**» . والصحيح ما ذهب إليه الجمهور. وأجابوا عنه بالأحاديث التالية ، وهي أن قوله : «**أحيوا ما خلقتم**»[(١)] وقوله : «**كلف أن ينفخ فيها الروح**»[(٢)] يدل على أن المراد تصوير ما فيه روح وأما قوله : «**أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» أنَّ المراد منه التحدي والتعجيز كقوله تعالى : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٣] ؛ والمعنى أنَّ أولئك المصورين عاجزون ، حتى عن خلق ما لا روح فيه[(٣)] .

(١) رواه البخاري (٢١٠٥) ، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٥ ، ٧٠٤٢) ، ومسلم (٢١١٠).

(٣) انظر القول المفيد لابن عثيمين.

**قال العلَّامة الألباني ـ ناصر السنة ـ في تصحيحه لحديث :** «فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة»[١] : «فيه إشارة إلى أنَّ الصورة إذا كانت من الجمادات ؛ فهي جائزة ، ولا تمنع من دخول الملائكة ؛ لقوله : «كهيئة الشجرة» ؛ فإنه لو كان تصوير الشجر حرامًا كتصوير ذوات الأرواح ؛ لم يأمر جبريل عليه السلام بتغييرها إلى صورة شجرة ، وهذا ظاهر ، ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما : «وإن كنت لا بد فاعلًا ؛ فاصنع الشجرة ، وما لا نفس له» رواه مسلم[٢] .

وأثر أبي الهياج فيه ذكر العلة الثانية التي لأجلها حُرِّم التصوير ؛ وهي كونه وسيلةً إلى الشرك بالله تعالى .

❋❋❋

(١) رواه أبو داود (٤١٥٨) ، وصححَّه الألباني في الصحيحة برقم (٣٥٦) .

(٢) مسلم بشرح النووي (٥٥٠٦) ط دار المعرفة بيروت.

«٦١»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحلِفِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة : ٨٩] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**» أَخْرَجَاهُ[(١)] .

وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُشَيمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جعل الحلف مروجاً لبضاعته بيعاً وشراءً؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**» رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(٢)] .

وَفِي «اَلصَّحِيحِ»[(٣)] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» - قَالَ عِمْرَانُ : فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ - **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ**» .

وَفِيهِ[(٤)] عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**خَيْرُ اَلنَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

**الشرح :**

**هذا الباب راجع إلى** تعظيم الله عز وجل ومن تعظيمه عدم الإكثار من الحلف به .

---

(١) أي البخاري (٢٠٨٧) ، ومسلم (١٦٠٦) ، وهذا اللفظ للنسائي في السنن (٤٤٦١) .

(٢) في الكبير (٦١١١) ، وفي الأوسط (٥٥٧٧) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٧) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٥) .

(٤) أي البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

والحلف – ويسمى اليمين والقسم – : هو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغةٍ مخصوصةٍ بأحد حروف القسم وهي الواو ، والباء ، والتاء .

قوله : «واحفظوا أيمانكم» حفظ اليمين له ثلاث مراتب .

الأول : حفظها ابتداءً وذلك بعدم كثرة الحلف .

الثاني : حفظها وسطًا وذلك بعدم الحنث فيها ، إلَّا ما استثني كما قال النَّبيّ ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ : «**إذا حلفت على يمين ، فرأيت غيرها خيرًا منها ، فكفر عن يمينك وأْت الذي هو خير**»[1] متفق عليه .

الثالث : حفظها انتهاءً في إخراج الكفارة بعد الحنث[2].

وحديث أبي هريرة يَدلُّ على أنَّ كثرة الحلف منفقة للسلعة ؛ أي : مُروِّجة لها ، لكنها ممحقةٌ للكسب ، أي : متلفةٌ له ، إما إتلاف حسي بأنْ يُسلط عليه شيئًا يتلفه ؛ مثل : الحرق ، أو النهب ، أو غير ذلك .

وإما إتلاف معنوي بنزع البركة عنه .

قوله في حديث سلمان ﷺ : «**أشيمط زان**» يعني شمطه الشيب ، أصلها : أشمط ، صُغِّر للتحقير ، أي : خالطه الشيب ؛ والمعنى : أنَّه متعلق بالزنا مع عدم توفر دواعيه فيه ؛ من القوة وغيرها ؛ فإذا كان مع توفر دواعيه من الكبائر فإنَّه مع عدم توفرها أشد .

قوله : «**عائل مستكبر**» يعني : أنه فقير ذو عيال ؛ وهذا أيضًا انتفى عنه داعي التكبر ؛ وهو الغنى فإذا كان التكبر من الغني محرم ؛ فمن الفقير أشد .

والشاهد من الحديث في قوله : «**ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلَّا بيمينه ، ولا يبيع إلَّا بيمينه**» أي : جعل الحلف بضاعةً له .

والشاهد في حديث عمران بن حصين ﷺ : قوله : «**يشهدون ولا يستشهدون**» أي : لاستخفافهم بأمر الشهادة ، وعدم تحريهم للصدق ، وقلة دينهم ؛ يشهدون قبل أن تطلب

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧) ، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) انظر القول المفيد.

منهم الشهادة .

**والشاهد في حديث ابن مسعود ﷺ قوله :** «ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته»

أي : لقلة الثقة بهم لا يشهدون إلَّا بيمين ، أو أنَّ الشهادة واليمين في حقهم كأنَّهما متسابقتان .

**قوله : «قال ابراهيم»** ؛ هو النخعي . والضرب على الشهادة ؛ أي : على عدم القيام بأدائها ، أو شهادة الزور ، وعلى العهد ؛ أي : على عدم الوفاء به ، وهم صغار للتأديب .

***

« ٦٢ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل : ٩١] .

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

فَقَالَ : «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ ، فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا ، وَلَا تَغُلُّوا ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ– فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا ، فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ.**

**وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] .

---

(١) في صحيحه برقم (١٧٣١ ).

**الشرح :**

الذمة : هي العهد .

**والمراد من هذا الباب** تعظيم عهد الله ، وعهد رسوله ، وعدم نقض عهد الله ورسوله ؛ لأنَّ الوفاء بالعهود من محاسن الإسلام ، ونقضها من تهوين الإسلام وتزهيد الكفار فيه .

**قوله : «ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا» :**

الغلول : هو الأخذ من الغنيمة قبل أن تُقسم . وهو محرم ؛ لأنَّه خيانة .

والغدر : هو نقض العهد . بخلاف الخُدعة في الحرب فإنَّها جائزة . والفرق بينها وبين الغدر أنَّ الغدر مسبوق بعهد .

التمثيل : هو التشويه بقطع بعض الأعضاء . والنهي عن قتل الوليد ؛ أي : الصغير ؛ لأنَّه لا يقاتل .

**قوله : «فإنكم أنْ تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون ...»** الإخفار : هو نقض العهد ، والمعنى نقض عهدكم أهون من نقض عهد الله ورسوله .

**قوله : «فأرادوك أنْ تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم ...»** لأنَّ المجتهد لا يجزم أنَّ ما ذهب إليه هو حكم الله إلا في الأمور المجمع عليها.

***

«٦٣»

## بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«قَالَ رَجُلٌ : وَاللهُ لَا يَغْفِرُ اللهِ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ اللهُ ﷻ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[(٢)] .

**الشرح :**

الإقسام : هو الحلف .

والإقسام على الله نوعان :

**الأول :** أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظنِّ به . فهذا جائز ؛ كما قال ﷺ : **«رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»**[(٣)] .

**الثاني :** أن يكون الحامل له على الإقسام الإعجاب بالنفس ، وتحجير فضل الله ورحمته ، وسوء الظنِّ به وهذا محرم ؛ وهو وشيك بأن يحبط الله عمل المقسم . وهذا النوع هو المراد من هذا الباب ؛ لأنَّه يَدلُّ على سوءِ الأدب مع الله تعالى ، والإعجاب بالنفس .

***

---

(١) في صحيحه برقم (٢٦٢١ ).

(٢) رواه أبو داود في السنن (٤٩٠١ ) ، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٢٣٤٧ ).

(٣) رواه مسلم (٢٦٣٣ ).

« ٦٤ »

## بَـابٌ : لا يُسْتَشْفَعُ بِـالله عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، نُهِكَتِ اَلْأَنْفُسُ وَجَاعَ اَلْعِيَالُ ، وَهَلَكَتِ اَلْأَمْوَالُ ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ ، وَبِكَ عَلَى الله فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «**سُبْحَانَ الله! سُبْحَانَ الله !**» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا الله؟ إِنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**» . وَذَكَرَ اَلْـحَدِيثَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[١] .

**الشرح :**

**مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد :** أنَّ الله مالك كل شيء يُعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وهو الذي يشفع إليه الشافعون ، ولا يشفع هو عند أحد ؛ لأنه يملكه ويملك ما عنده ؛ لذلك لا يقال : نستشفع بالله عند أحد ومثله كذلك قول بعض الناس : واسطتي الله ؛ فإنَّ الله أعلى وأجل وأعظم من أن يكون واسطة عند أحد .

❊❊❊

(١) في السنن (٤٧٢٦ ) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦١٣٧ ).

« ٦٥ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا فَقَالَ : «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» قُلْنَا : وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا ، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا ، فَقَالَ : «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[(١)] .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا ، فَقَالَ : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عز وجل**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[(٢)] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

### الشرح :

سبق باب شبيه بهذا الباب وهو : باب حماية جناب التَّوحيد ، وهذا حماية حمى التَّوحيد .

والفرق بينهما : أنَّ الجناب المراد به الجانب ؛ وهو : جزء الشيء وهي الأمور التي تؤثر في أصل التَّوحيد ؛ مثل اتخاذ القبر عيدًا ومسجدًا . أما الحمى : فهو ما يقرب من الشيء . ومنه قوله ﷺ : «**كالراعي يرعى حول الحمى**»[(٣)] والمراد : ترك أمورٍ جائزةٍ سدًا للذرائع ، فإنَّ وصف النَّبيّ ﷺ بالسيادة جائز كما قال ﷺ : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ...**»[(٤)] ولكن نهيه عن وصفه بذلك أراد منه سد وقطع كل ذريعةٍ مفضيةٍ إلى الشرك . بخلاف الجناب فهو ترك أمورٍ محرمةٍ .

---

(١) في السنن ( ٤٨٠٦ ) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع ( ٣٧٠٠ ).

(٢) في الكبرى ( ١٠٠٠٦ ) ، وهو صحيح راجع غاية المرام برقم ( ١٢٧ ).

(٣) رواه البخاري برقم ( ٥٢ ) ، ومسلم برقم ( ١٥٩٩ ).

(٤) رواه مسلم برقم ( ٥٨٩٩ ).

**قوله : «ولا يستجرينكم الشيطان»** استجراه بمعنى : جذبه وجعله يجري معه ؛ أي : لا يستميلنكم الشيطان ويجذبكم إلى أن تقولوا قولًا منكرًا .

**قوله : «ولا يستهوينكم الشيطان»** أي : لا يغوينكم ويزين لكم الهوى . ومنه قوله تعالى :

﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

***

« ٦٦ »

## بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الْآيَةَ[(١)] .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ[(٢)] : «**وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا اللهُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ[(٣)] : «**وَيَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ**» أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ[(٤)] عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

---

(١) رواه البخاري « ٤٨١١ » ، ومسلم « ٢٧٨٦ ».

(٢) في صحيحه « ٢٧٨٦ ».

(٣) في صحيحه « ٤٨١١ ».

(٤) في صحيحه « ٢٧٨٨ ».

وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : «مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ اَلسَّبْعُ فِي كَفِّ اَلرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(١) .

وَقَالَ اِبْنُ جَرِيرٍ(٢): حَدَّثَنِي يُونُسُ ، أَخْبَرَنَا اِبْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ اِبْنُ زَيْدٍ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» قَالَ : وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «مَا اَلْكُرْسِيُّ فِي اَلْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ اَلْأَرْضِ».

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : «بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا وَاَلَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ اَلْمَاءِ ، وَالله فَوْقَ اَلْعَرْشِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ» أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ الله وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ اَلْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ الله ، قَالَهُ اَلْحَافِظُ اَلذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى قَالَ : «وَلَهُ طُرُقٌ»(٣) .

وَعَنْ اَلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٤) .

## الشرح :

ما أحسنَ أن يختم المؤلِّف – رحمه الله – هذا الكتاب العظيم بهذا الباب الذي فيه تعظيم الله

(١) رواه ابن جرير في تفسيره « ٣٠٢١٢ ».

(٢) في تفسيره « ٥٧٩٥ » ، وحسنه الألباني بنحوه في الصحيحة « ١٠٩ ».

(٣) العلو للعلي العظيم رقم (٦٧ ) دار الوطن.

(٤) في السنن (٤٧٢٣ ).

ومعرفة قدره ؛ لأنَّ الشرك لا يقع إلَّا مِمَنْ جهل قدر الله ﷻ إذ لو عرف العبد قدر ربه ؛ فإنَّه لا يعبد معه غيره . وإليك هذا النص النبوي تأمل فيه ، واقرأه ، بتدبر ، وهذا شأن العبد مع نصوص الوحيين قراءةً وتدبرًا ولا يكن معها كمن قال الله تعالى في شأنهم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

قال النَّبيّ ﷺ : «**إن الله أذن لي أن أحدث عن ديكٍ قد مرقت رجلاه الأرض ، وعنقه منثنٍ تحت العرش ، وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ! فيرد عليه : ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا**»(١) . فإذا كان لم يعلم عظمة الله من حلف به كاذبًا فكيف بمن حلف بغيره !

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»(٢) .

لأنَّ الحلف بالله كاذبًا من الكبائر ، والحلف بغيره صادقًا من الشرك وهو أكبر الكبائر . وإذا كان هذا في الحلف الذي هو من الشرك الأصغر ؛ فما ظنك بالشرك الأكبر ـ الذنب الذي لا يغفر ، والعيب الذي لا يستر – كدعاء غير الله ، والاستغاثة بالأموات في كشف الكروب وجلب المرغوب ، الذي لا يطلب إلَّا من علَّام الغيوب . فتبًا لعقول لم تعظم خالقها ، ولم تُجلْ فاطرها ، ولم تفرق بين حقه وحق غيره ؛ فإنَّ العبادة حق لله وحده لا يُعطى لملكٍ مقربٍ ، ولا لنبيٍ مرسلٍ ، ولا لوليٍ صالحٍ .

لذلك لَـمَّا قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] فلم يبدأ عيسى عليه السلام ببراءة نفسه مما نسب إليه بل بدأ بتنزيه الله عن الشرك فقال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ؛ أي : تنزهت أن يُتخذ معك إلهٌ يُعْبَد ، ثم قال بعدها : ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ فبرأ نفسه وبَيَّنَ أن

(١) رواه الطبراني ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٠ ).
(٢) رواه عبد الرزاق (١٥٩٢٩ ) ، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢ ).

هذا ؛ أي : الألوهية ليست حقًّا له بل حق لله لا يشاركه فيه أحد كما مرَّ في حديث معاذ رضي الله عنه[١] فتأمل هذا !

**أما الآية فتَدُلُّ على أنَّ** المشرك لم يقدر الله حق قدره حيث جعل له شريكًا .

**وحديث ابن مسعود يَدُلُّ على** عظمة الله وقدره ، وأنَّ الخلق جميعًا تحت ملكه ، وتصرفه ، سبحانه . وفيه إثبات الأصابع لله ﷻ من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل . كما هو الشأن في جميع الأسماء والصفات .

**قوله في حديث ابن عمر :** «ثم يأخذهن بشماله» منهم من أثبت الشمال لله . واستدلوا بهذا الحديث ، وهذا لا يعني أن الشمال في الفضل أقل من اليمين كما هو الشأن في المخلوق ؛ فإنَّ الله ليس كمثله شيء ، ودفعًا لهذا التوهم قال النَّبيّ ﷺ : «**وكلتا يديه يمين**»[٢] .

وبعضهم لم يثبت الشمال وحكموا على هذه اللفظة وهي : «ثم يأخذهن بشماله» بالشذوذ ، واستدلوا بالحديث السابق : «وكلتا يديه يمين» .

**وأثر ابن عباس :** يَدُلُّ على عظمة الله تعالى .

**وحديث ابن مسعود :** يَدُلُّ على عظم السماوات ، وعلى علو الله عز وجل .

***

هذا آخر ما أردت كتابته فما أصبت فيه فمن توفيق الله تعالى وما أخطأت فمن نفسي .

وقد قال ابن القيم – رحمه الله – : «فمن أنشأ أقوالًا ، وأسَّس قواعدَ بحسب فهمه وتأويله ، لم يجب على الأمَّة اتباعُها ، ولا التحاكم إليها ، حتى تُعرض على ما جاء به الرسول ، فإن طابقته ، ووافقته ، وشهد لها بالصحة ، قُبِلَتْ حينئذٍ ، وإن خالفته ، وجب ردُّها واطِّراحُها ، فإنْ لم يتبين فيها أحدُ الأمرين ، جُعِلَت موقوفة ، وكان أحسنُ أحوالِها أن يجوز الحكمُ والإفتاء بها وتركه»[٣] .

---

(١) وهو قوله ﷺ : «**حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئًا**» رواه البخاري برقم (٥٩٦٧) ، ومسلم برقم (٣٠) .

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧) .

(٣) مقدمة زاد المعاد.

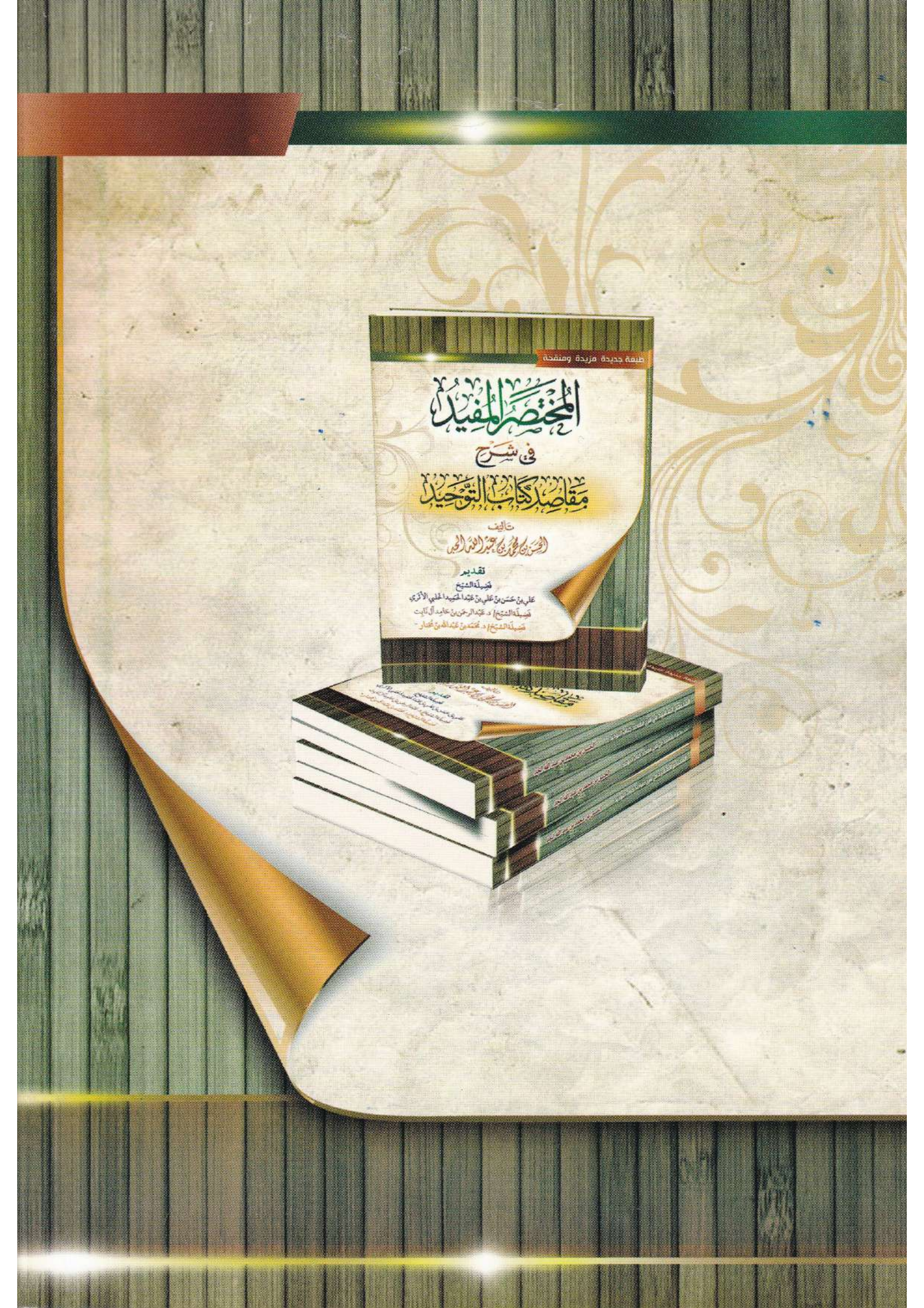
والله أسأل أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه ، نافعًا لخلقه ، وأنْ يتقبله مني ، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين

# فهرس الموضوعات

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
المختصر المفيد
في شرح
مقاصد كتاب التوحيد
تأليف
تقديم
فضيلة الشيخ
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري
فضيلة الشيخ/ د. عبد الرحمن بن حامد آل ثابت